جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

بلاغة نوادر أبي العيناء

إعداد
د/ دعاء عبد السلام حامد عبد السلام
مدرس البلاغة والنقد بجامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بلاغة نوادر أبي العيناء

دعاء عبد السلام حامد عبد السلام
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الالكتروني: DoaaAbdelsalam.2068@azhar.edu.eg

الملخص

إن المُلح والنوادر لا يمكن النظر إليها على أنها مجرد أفكار عابرة وضحكات ساخرة بل إنها تنقل صورة مصغرة للمجتمع العباسي حيث ترسم صوراً للأشخاص في هذا العصر، وتدلي بدلوها في التعبير عن طبائعهم وأخلاقهم وثقافتهم وكثير من المعاني الإنسانية والنفسية والسياسية.

ويهدف البحث إلى: الكشف عن بلاغة نوادر أبي العيناء وأبرز سماتها الأسلوبية، وقيمة نوادر أبي العيناء تتمثل في أنها قد صيغت صياغة فنية، عنى فيها أبو العيناء ببلاغة الأساليب واختيار الألفاظ الفصيحة وهذه هي مهمة الأديب البليغ.أما المنهج المتبع في البحث: فهو المنهج التحليلي، وقد سبقه أولاً جمع نوادر أبي العيناء من العديد من المصنفات.

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، منها: أن أبا العيناء متندر حاضر البديهة سريع الجواب لديه القدرة على تطويع اللفظ بما يتناسب مع مقتضيات الأحوال حيث عمد في نوادره أحياناً إلى النحت والتصحيف، كما جاءت كثير من نوادره مفحمة مسكتة وأخرى حجاجية، كما تميزت نوادر أبي العيناء بالإيجاز حيث اللفظ قليل ودلالاته واسعة، وبروعة في التعبير أضفت على نوادره جمالاً، وأبو العيناء ناثر بليغ يعتني بكلماته فإن كان في موقف يستدعي إفحام المخاطب كانت كلمته المدهشة المسكتة التي يعجز المخاطب عن صدها من هول الصدمة فيبتلع لسانه مندهشاً صامتاً.

كما تتنوع أساليب الحجاج في النوادر حسب غايات المتندر ومقاصده، ومن أساليب الحجاج المميزة لنادرة أبي العيناء: أسلوب الاستفهام، الشاهد، التضمين.

الكلمات المفتاحية: نادرة – بلاغة – أبو العيناء – الظرفاء – الحجاج.

The eloquence of the anecdotes of Abu Al-Ayna

Doaa Abdel Salam Hamed Abdel Salam
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Kafr El-Sheikh, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: DoaaAbdelsalam.2068@azhar.edu.eg

Abstract :
The urgency and anecdotes cannot be viewed as mere fleeting ideas and sarcastic laughter, but rather they convey a microcosm of the Abbasid society, as they paint pictures of people in this era, and give their meaning in expressing their natures, morals, culture, and many human, psychological and political meanings. The research aims to: reveal the eloquence of Abi Al-Ayna's anecdotes and their most prominent stylistic features, and the value of Abi Al-Ayna's anecdotes is that they have been artistically formulated, meaning in them
Abu al-Ayna'a's eloquence of methods and the choice of eloquent words, and this is the task of the eloquent writer. As for the method used in the research: it is the analytical approach, and it was preceded first by the collection of Abu al-Ayna's anecdotes from many works.
The study reached several results, including: that Aba Al-Ayna'a is an anecdotal, presentable, quick-witted, quick-responding, has the ability to adapt the pronunciation in proportion to the requirements of the circumstances, as he used in his anecdotes sometimes to carve and correct, and many of his anecdotes were charred, silenced, and others argumentative, as the anecdotes of Abi Al-Ayna'a were distinguished Briefly, where the utterance is few and its connotations are wide, and the splendor of expression added beauty to its anecdotes.
The methods of al-Hajjaj in anecdotes also vary according to the goals and objectives of the troll. Among the distinctive methods of al-Hajjaj for the anecdote of Abi al-Ayna: the interrogative method, the witness, and the implication.

Keywords: Rare - Eloquence - Abu Al-Aina'a - Funny - Pilgrims.

مقدمة

الحمد لله المنعم على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى، والصلاة والسلام على نبي الأمة، المبعوث للعالمين رحمة، نبينا وشفيعنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، أما بعد:

فإن بلاغتنا العربية لا تقتصر على الكشف عن جماليات الأشعار والخطب والرسائل وعدد محدود من الأجناس الأدبية بل إن قدراتها تتسع للكشف عن روعة كل ما هو بليغ صادر عن العرب، فرب كلمة يلقيها شخص في كلامه العابر فيكون بها أبلغ من أديب أو خطيب.

وفي العصر العباسي استحدثت بعض العادات والتقاليد التي كان لها تأثير على الأدب العربي، ومع استحداث عادات جديدة وتخلي بعض الناس عن بعض القيم المأثورة عن العرب وتحليهم بضدها كالبخل، برزت الفكاهة، وكثرت الملح والنوادر، واهتم بعض الخلفاء والوزراء بمجالس السمر واختاروا من يصلح لمنادمتهم، وحدث أن اختار الخليفة العباسي المتوكل أبا العيناء الضرير منادماً له.

وفي التراث العربي نوادر وفكاهات كثيرة ومصنفات عدة عنيت بجمعها، تحكي أخبار المجتمعات العربية في العصور السابقة، ومن ألطف ما مر عليَّ – أثناء البحث عن المصادر – كتاب قديم جداً عنوانه: (الفُكاهةُ والمُزاحُ) صنفه: الزبير بن بكّار (ت ٢٥٦هـ)[1]، وفي الحقيقة لقد تفاجأت به، واستوقفني هذا

(١) وهو مخطوط تم تحقيقه مرتين: التحقيق الأول اعتنى به: حُسين بن حَيْدر الهاشمي، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٧م، والكتاب دون طبعة، ودون دار نشر، وهذه النسخة متوفرة على الشبكة العنكبوتية يمكن للقاريء الاطلاع عليها.

ولهذا الكتاب تحقيق آخر بعد السابق، حيث حققه وعلق عليه: د. جاسم الفهيد الدوسري، دار ابن الجوزي، ٢٠١٩م، وهذه الطبعة متاحة فقط في المكتبات وعلى مواقع شراء الكتب عبر الشبكة العنكبوتية.

الكتاب كثيراً، فكل ما فيه مروي بالإسناد، وأول ما جال في خاطري سؤال هو: أين نحن الباحثين من هذه الدرر؟ إننا حقاً نظلم البلاغة العربية والأجيال العربية عندما لا نضع مثل هذه النفائس بين أيديهم مقروءة أو مسموعة ونحرمهم الاستفادة من درر العرب، وهذا بحث في نوادر من تراث العرب، عنونته بـ:

(بلاغة نوادر أبي العيناء)

ويهدف البحث إلى الكشف عن بلاغة نوادر أبي العيناء وأبرز سماتها الأسلوبية، أما عن سبب اختيار أبي العيناء؛ فلأنه مُتَنَدِّر فصيح بليغ شاعر، وهذا بعض مما شهد به أصحاب المصنفات التي تناولت طرائف ونوادر العرب ومن بينها نوادر أبي العيناء.

ومراعاة للدقة ومن أجل إعطاء النادرة حقها وكذلك المُتَنَدِّر (أبو العيناء) فقد عمد البحث إلى جمع نوادره من عدة مصنفات قبل تحليلها بلاغياً، لذا فتشت في بطون كتب التراث وفي المصنفات التي عنيت بالفكاهة العربية وبالمتندرين عبر عصور الأدب العربي، ومن ثم فقد حرصت على جمع الروايات للنادرة الواحدة ثم أختار أبلغها تعبيراً وأنصعها أسلوباً من أجل الدراسة، وإذا وجدت في رواية ما للنادرة إضافة جديدة لها فوائد بلاغية أقوم بإضافتها للنادرة الأصل التي اخترتها أولاً بسبب شيوعها بين المصنفين.

ويتضمن هذا البحث **مقدمة وتمهيداً** جاء في مدخلين:

المدخل الأول: ترجمة أبي العيناء

المدخل الثاني: كلمة عن النوادر

وفصلين: الفصل الأول: موضوعات نوادر أبي العيناء، تناولت فيه: نوادر ساخرة من بعض أفراد مجتمعه، ونوادر غير ساخرة لكنها مضحكة صدرت عن بعض الظرفاء، ونوادر أسميتها اللغوية لما برز فيها من عناية باللغة وقواعدها وألفاظها، كذلك نوادر سياسية كان أحد الخلفاء أو الوزراء طرفاً فيها.

الفصل الثاني: السمات الأسلوبية، ومنها: النادرة المسكتة، ووجدت أن النادرة المسكتة قد تكون مسكتة وحجاجية في آن واحد متكئة على آليات الحجاج، وبدت لي خاصية مميزة جداً لنوادر أبي العيناء وهي بناء بعض نوادره على لفظ من ألفاظ المخاطب، ثم ختمت هذا الفصل بأبرز الفنون البلاغية والألوان البديعية التي شكلت جمالية النادرة.

بعد هذا كله تأتي **الخاتمة** التي تتضمن أهم النتائج التي خلص إليها البحث، وتوصياته ثم ثبت المصادر والمراجع يليه فهرس الموضوعات.

التمهيد

المدخل الأول: ترجمة أبي العيناء

اسمه ومولده[١]: (١٩١ – ٢٨٣ هـ = ٨٠٧ – ٨٩٦ م)

"أبو العيناء: محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر، الهاشمي، بالولاء، البصري، العلامة، الأخباري، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، الضرير النديم، أصله من اليمامة، ومولده بالأهواز، ومنشأه ووفاته في البصرة، ولد سنة إحدى وتسعين ومائة ونشأ بالبصرة، "وأسر ياسر في سباء في خلافة المنصور. فلما صار في يد المنصور أعتقه؛ فهم موالى بنى هاشم"[٢].

لقبه: قال الجاحظ: "وإذا عظمت عين الإنسان لقّبوه إما عيينة وإما عيناء، مثل حبناء وعيناء وإمّا أبو العيناء، وإمّا مثل عينون الكاتب"[٣]، وقيل: "لقب بأبي العيناء؛ لأنه قال لأبي زيد الأنصاري: كيف تصغر عيناً؟ فقال: عيينا يا أبا العيناء"[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، ٣٠٨/١٣، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، ٣٣٤/٦، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ)، ٦٨/٤، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٣) البرصان والعرجان والعميان والحولان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الصلب والحاشية نفس الصفحة ٤٣٢، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

(٤) اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (عليها السلام) تأليف: المولى محمد علي بن أحمد القراچه داغي التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ)، ٣٢٠/١، تحقيق دار فاطمة عليها السلام.

حكايـة جـده: هنـاك روايـة متكـررة عـن جـد أبـي العينـاء، "يقـال: إنّ جـدّه الأكبر لقي علي بن أبى طالب (رضى الله عنه) فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى؛ فكلّ من عمى منهم فهو صحيح النسب"(١)، وكان أبو العيناء قبل العمى صاحب حول، قال فيه أحد الشعراء، قال جحظة: أنشدنا أبو العيناء لنفسه: [الطويل]

حَمدْتُ إِلهِي إِذْ بَلانِي بِحُبِّهَا عَلى حَوَلٍ يُغْنِي عَن النَّظَرِ الشَّزر
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقيبُ يَظُنُّنُي نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَرَحْتُ مِن الْغَدْر"(٢)

"وقال محمد بن خلف بن المرزبان: قال لي أبو العيناء، أتعرف في شعراء المحدثين رشيد الرياحي، قال: فقلت لا، قال بل هو القائل في: [الخفيف]

أَحْوَلُ الْعَيْنِ وَالْخَلائِقِ زين لا احْـــولال بِها وَلا تَلْوين
لَيْسَ لِمَرْءٍ شائِنَاً حَوَل الْعَيْنِ إِذا كانَ فِعْــلُهُ لا يــشِــين

فقلت له، وكنت قبل العمى أحول؟ من السقم إلى البلى، فقال: هذا أظرف خبر تعرج به الملائكة إلى السماء اليوم"(٣).

علمه(٤): عن أبي العيناء قال: "أتيت عبد الله بن داود، فقال: ما جاء بك؟ قلت: الحديث، قال: اذهب، فتحفظ القرآن، قلت: قد حفظت القرآن، قال: اقرأ:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٦٨/٤، زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، ٣٢١/١، دار الجيل، بيروت، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تصنيف: أبي إسحاق الحصري إبراهيم بن علي بن تميم القيرواني (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: محمد العزازي، ١٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، ٢٥٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

(٣) نكت الهميان في نكت العميان ٢٥٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٥١/٩.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ نُوح ...﴾[يونس: ٧١]، فقرأت العشر حتى أنفذته، فقال لي: اذهب الآن، فتعلم الفرائض، قلت: قد تعلمت الصلب والجد والكبر، قال: فأيما أقرب إليك: ابن أخيك، أو عمك؟ قلت: ابن أخي، قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمي من جدي، قال: اذهب الآن، فتعلم العربية، قال: قد علمتها قبل هذين، قال: فلم قال عمر –يعني حين طعن–: يا لله، يا للمسلمين، لم فتح تلك، وكسر هذه؟ قلت: فتح تلك اللام على الدعاء، وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدثت أحداً لحدثتك"(١).

قصة خروجه من البصرة، له في خروجه من البصرة إلى بغداد حكاية طويلة طريفة حكاية بنفسه:

"قالَ أَبُو العيناء: مَرَرْت بسُوق النخّاسين بِالْبَصْرَةِ، فَإِذا غُلَام يُنادي عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ دِينَاراً ...، فاشتريته وَكنت أبني دَاراً فَدفعت إِلَيْهِ عشْرين دِينَارا على أَن يُنفقها، فَلم أزل أصك عَلَيْهِ حَتَّى أنْفق نَحْو الْعشْرَة. ثمَّ صككت بِشَيْء آخر. فَقَالَ لي: فَأَيْنَ أصل المَال؟ .... قَالَ: إنّ أهل المُرَوَّات والأقدار لَا يعيبون على غلمانهم .... ثمَّ إنَّه أَرَادَ الْغَزْو فجهّزتُه، فَلَمَّا صَار على عشرَة فراسخ بعتُ مَا كَانَ لي بِالْبَصْرَةِ وَخرجت عَنْهَا خوفًا أَن يرجع وصرت إِلَى بَغْدَاد"(٢).

أساتذته وشيوخه: "أخذ عن: أبي عبيدة، وأبي زيد، وأبي عاصم النبيل، والأصمعي.

---

(١) نكت الهميان ٢٥٢.

(٢) نثر الدر في المحاضرات في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (ت ٤٢١هـ)، المحقق: خالد عبد الغني محفوظ، ٥/٢٣٠، ٢٣١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، بتصرف، أخبار الظراف والمتماجنين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، ٩٢ بتصرف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

وعنه: أبو بكر الصولي، وأحمد بن كامل، وآخرون"[١].

ولأبي العيناء مع بعض الشخصيات المعاصرة له حوارات ونقاشات فقد "كان يهاتر ابن مكرم كثيرا"[٢]، **وهو من رواته:** "والقاضي أبو بكر بن كامل بقية الدنيا في علوم شتى، يعرف الفقه والشروط والحديث.... ويتوسَّع في النحو توسُّعاً مستحسناً، وله في حفظ الشعر بضاعة واسعة، وفي جودة التصنيف قوة تامة، ومن كبار رواة المبرد وثعلب والبحتري وأبي العيناء وغيرهم"[٣].

نـادَمَ المتوكل: "والمتوكل أوّل من أظهر من خلفاء بنى العباس الانهماك على شهوته، وكان أصحابه يتسخّفون ويستخفون بحضرته، وكان يهاتر الجلساء، ويفاخر الرؤساء... وهو مع ذلك من قلوب الناس محبب، وإليهم مقرّب؛ إذ أمات ما أحياه الواثق من إظهار الاعتزال، وإقامة سوق الجدال"[٤].

من نثره: لم يكن جل كلام أبي العيناء نوادراً بل كانت بلاغته تظهر كذلك في كثير من المواقف الإنسانية، من ذلك ما جاء عنه في **المراثي:** "عزّى أبو العيناء عبيد الله بن سليمان عن أبيه فقال: عقم والله البيان، وخرست الأقلام، ووهى النظام"[٥]، فهذا تعبير بلاغي يكني به عن شدة حزن الناس عليه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٠٨/١٣.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ٣٣١/١.

(٣) الروزنامجة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ١٠٠، ١٠١، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

(٤) زهر الآداب وثمر الألباب ٣٢٣/١.

(٥) التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت ٥٦٢هـ)، ٢٢٠/٤، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ

ومن بلاغته في **المراثي** أيضاً ما روي من أنه: "مات ابن للرضا فقال أبو العيناء: يا ابن رسول الله، أنت تجل عن عظتنا، وقدرك تقصر عنه صفتنا، وفي علمك بكتاب الله ما كفاك، وفي رسول الله ما عزاك، وفي ثواب الله ما أسلاك"(١).

ومما جاء في **المدح**: "كتب إلى بَعضهم: نحن أعز الله الأَمير إِذا سألنا النَّاس كف الأذى سألناك بذل الندى، وإِذا سألناهم العدل، سألناك الفضل، وَإِذا سررناهم بسط العذر سررناك باستدعاء الْبر"(٢).

من شعره: له أبيات لغرض البكاء على ذهاب الشباب: "وأنشد أبو العيناء: [الكامل]

ما فِي يَدَيّ مِن الصّبا إِلّا الصّبابة وَالْأَسَف

جَاءَ الشَّبابُ فَمَا أَقَا مَ وَلا أَلَمَّ وَلا وَقَف

كَانَ الشّبابُ كَزائِرٍ مَلّ الزِّيارَةَ وَانْصَرَف"(٣)

ومن بلاغة أبي العيناء التعبير عن حالته النفسية والشعورية بغير واحد من الأجناس الأدبية فتارة يبدع نثراً وتارة يبدع شعراً، وهذه أبيات يتحسر فيها ويتوجع بسبب ما ذكره له أحدهم من بغض الناس له وحبهم لأبي علي البصير وميلهم إليه حين "قيل له: الناس مع أبي علي البصير عليك، وهم إليه أميل، فقال: [الوافر]

سَقَيْتُهُمُ الرَّدى، لَمَّا رَمُونِي فَقَالُوا: أَبْغَضُوكَ، فَقُلْتُ: أَدْرِي

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري (ت ٥٨٣ هـ)، ١٤٤/٥، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٢) نثر الدر في المحاضرات ١٥٤/٣، التذكرة الحمدونية ٥٢/٤.

(٣) شرح مقامات الحريري، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي (ت ٦١٩ هـ)، ٢٢٦/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦ م – ١٤٢٧ هـ.

كَبُغْضِ بَنِي قُرَيْشٍ فِي عَلِيٍّ وَلَا ذَنْبَ سِـــوَى أُحُدٍ، وَبَدْرِ"[١]

آراء أبي العيناء في بعض الكتاب: كان لأبي العيناء عدد من الآراء التي ذكرها في حق بعض الكتاب، ومنهم: ابن المقفع الذي قال عنه أبو العيناء: "كلام ابن المقفّع صريح، ولسانه فصيح، وطبعه صحيح، كأنّ كلامه لؤلؤٌ منثور، أو وشيٌ منشور، أو روضٌ ممطور"[٢].

كما شهد أبو العيناء ببيان الجاحظ، فقد سُئِل أبو العيناء: "أي شيء يحسن الجاحظ؟ قال: أي شيء لا يحسنه الجاحظ؟"[٣].

قالوا عنه: هذه بعض آراء النقاد والكتاب العرب القدامى والمحدثين في أبي العيناء ونوادره، وبالنظر فيما كتبه عنه أصحاب المصنفات التي عنيت بالنادرة، نجد أنها تشير إلى فصاحة لسانه، ونوادره الحاضرة المستحسنة وذكاؤه الحاد، وفيما يلي بعض ما قيل عنه:

جاء في (سمط اللآلي) أنه: "كان معروفا بالذكاء واللسن وسرعة الحفظ والجواب والظرف، وله أخبار كثيرة ونوادر معجبة ومجالس شهية مع المتوكل"[٤].

---

(١) حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، للقاضي أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي، قرأه وعلق حواشيه وقدم له أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، ٢٤، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٣٠-٢٠٠٩م.

(٢) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، ٥٥/٨، دار صادر، بيروت، ط ١، ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٣) الممتع في صنعة الشعر، عبد الكريم النهشلي القيرواني، المحقق: الدكتور محمد زغلول سلام، ٢٥١، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

(٤) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، ٤٥/٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

وقيل عنه في (التذكرة الحمدونية): "هو من أهل الأدب، له رسائل مشهورة مدوّنة يشار إليها، وهو مطبوع جدا، ونوادره كثيرة مستحسنة"(١).

وفي (زهر الآداب): "كان أبو العيناء أحدّ الناس خاطراً، وأحضرهم نادرة، وأسرعهم جواباً، وأبلغهم خطاباً"(٢).

وفي (نكت الهميان): "كان من أحفظ الناس، وأفصحهم لساناً، وأسرعهم جواباً، وأحضرهم نادرة"(٣).

وجاء في كتب التراجم كـ (الأعلام) هو: "أديب، فصيح، من ظرفاء العالم ومن أسرع الناس جواباً"(٤)، وفي (سير أعلام النبلاء): "كان ذا ملح ونوادر وقوة ذكاء"(٥).

وفي مدح بلاغته وفصاحة أساليبه، وأنه لا يقل في الكتابة شأناً عن عبد الحميد الكاتب، قال ابن مكرم: "من زعم أنّ أبا العيناء دون عبد الحميد في الكتابة إذا أحسّ بكرمٍ فقد كذب، وذلك أنه كتب إلى عبيد الله بن سليمان...، فكتب إليه أبو العيناء: وقد علمت – أطال الله بقاءك – أنّ الكريم المنكوب أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور، لأنّ اللئيم يزيد مع النّعمة لؤماً، ولا تزيد المحنة الكريم إلا كرماً، هذا متّكلٌ على رازقه، وهذا يسيء الظّنّ بخالقه..."(٦).

(١) التذكرة الحمدونية ٣٩٤/٩.

(٢) زهر الآداب ٣٢٣/١.

(٣) نكت الهميان ٢٥٢.

(٤) الأعلام ٣٣٤/٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٠٩/١٣.

(٦) نثر الدر في المحاضرات ١٤٧/٣، زهر الآداب ٣٢٤/١، البصائر والذخائر ١٦٥/٨، ١٦٦.

وفي (تاريخ الأدب): "أبو العيناء الضرير: وكان ظريفاً لسناً سريع الجواب، واتخذه المتوكل فى ندمائه"(١).

وفي (صبح الأعشى)، ذُكِرَ تحت عنوان: "من كان فرداً في زمانه بحيث يضرب به المثل في أمثاله... وأبو العيناء، في الأجوبة المسكتة"(٢).

كما مدحوا عارضة أبي العيناء: "ثمّ ابرز يا بني في بكور أبي زاجر، وجراءة أبي الحارث....، وفطنة إياس، ومجانة أبي نواس، وطمع أشعب، وعارضة أبي العيناء"(٣).

و(عارضة أبي العيناء) تعني كونه مفوهاً فصيح الكلام، جاء في لسان العرب: "إنه لذو عارضة وعارض أي ذو جلد وصرامة وقدرة على الكلام مفوه، على المثل أيضاً، وعرض الرجل: صار ذا عارضة، والعارضة: قوة الكلام وتنقيحه والرأي الجيد"(٤).

ومن المحدثين:

يقول الدكتور شوقي ضيف: "أبى العيناء الضرير نديم المتوكل والخلفاء ومضحكهم بإجاباته ونوادره"(٥).

---

(١) تاريخ الأدب العربي، الدكتور شوقي ضيف، ٤٥٩/٤، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠ – ١٩٩٥م.

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت ٨٢١هـ)، ٥٢١/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) شرح مقامات الحريري ٤٥١/٣.

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، ١٨١/٧، دار صادر– بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

(٥) تاريخ الأدب العربي ٤٢١/٤.

ويبدو أنه كان له **حُسّاد** ربما بسبب منزلته التي نالتها وكونه ينادم الخليفة، يقول "بعضهم في أبي العيناء: ما رأيت رجلاً لا يحسن شيئاً أشدّ ادعاء لكل شيء منه، يتعاطى كل شيء... وهو لا يحسن شيئاً"[١] كما عدَّه بعض الثقلاء حيث جاء تحت عنوان : "اغتياب الثقلاء والوقيعة فيهم... وقال آخر: إنما ظرف أبي العيناء في المجلس لحظه ... فإذا طاولته استبردت معناه ولفظه"[٢].

آراء بلاغية: تناقلت الكتب عن أبي العيناء عدة آراء بلاغية منها ما جاء عنه في صفة البليغ: "قال أبو العيناء: من اجتزأ بالقليل عن الكثير، وقرب البعيد إذا شاء، وبعد القريب، وأخفى الظاهر، وأظهر الخفي"[٣].

ومنها ما جاء في (العمدة): "قال أبو علي: أخبرني محمد بن يحيى عن أبي العيناء قال: "أجمع العلماء بالشعر أن أحسن تقسيم قيل قول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

نَهيمُ إلى نِعَمٍ، فَلا الشَّمْلُ جَامِع وَلا الْحَبْلُ مَوْصول وَلا أَنْتَ مُقَصِّرُ
وَلا قُـــرْبَ نِعَمٍ إِنْ دَنَتْ مِنْكَ نافِع وَلا نَأْيها يُسلي، وَلا أَنْتَ تَصْبِر[٤]

(١) ربيع الأبرار ٢٨/٢.

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، ٨٠٣/١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، بتصرف.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ٢٤٥/١، دار الجيل، ط ٥، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢٤/٢، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، ٧، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، سلسلة كتب التراث (٨٢)، ١٩٧٩م، شرح مقامات الحريري ١٩٦/٢.

و**شهد له أهل عصره بالبلاغة والحجج المدحضة وسرعة البديهة**، ولعل أدل ما يكون على ذلك قصة الدابة التي أرسلها له عبيد الله بن يحيى بن خاقان فأخذها منه ابنه، ووعد أبو العيناء بخير منها، فما زال أبو العيناء يحاول حتى ضحك منه عبيد الله، "وقال: يا أبا عبد الله؛ حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة"(١).

قال له المتوكل: أكان أبوك في البلاغة مثلك؟ قال: لو رأى أمير المؤمنين أبى لرأى عبداً له لا يرضانى عبدا له"(٢)، لقد كان أبو العيناء بارع الحيلة، سريع البديهة، نوادره حجاجية إقناعية مؤثرة.

بعض صفاته: إن نوادر أبي العيناء لا تنم فقط عن بلاغتة ودهائه وجرأته وسرعة بديهته بل إنها كذلك تحكي كثيراً من صفاته الخُلُقية ومواقف من حياته، ومن هذه الصفات المستمدة من النادرة:

الحكمة : وأحد الأمثلة على ذلك: " قال أبو العيناء: مودة الكريم غراس، وشكر الشريف أحسن لباس"(٣).

كما كان **شاكراً ممتناً** لمن أنعم عليه وفرق ضائقته، "قال أبو العيناء: أضقت إضاقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي، فدخلت على يحيى ابن أكثم القاضي فقال لي: إن أمير المؤمنين عبد الله المأمون قد جلس للمظالم وأخذ القصص، فتنشط للحضور؟ فقلت: نعم، فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين...

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر ١٣٣، زهر الآداب وثمر الألباب ٥٨٨/٢، نهاية الأرب في فنون الأدب ٧٠/٤.

(٢) زهر الآداب ٣٢٧/١.

(٣) الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: الدكتور إبراهيم الكيلاني، ٣٥١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١،، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

فقال: يا أبا العيناء... بالألفة والمحبة ما جاء بك في هذه الساعة؟ فانشأت أقول: [البسيط]

فَقَدْ رَجَوْتُكَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهُمُ وَلِلرَّجـاءِ حُـقـــوقٌ كُـلُّها يَجِبُ

إلا تَكُنْ لِي أَسْبابٌ أَمُتّ بِها فَفِي الْعُلَى لَكَ أَخْلاقٌ هِيَ السَّبَبُ

فقال: يا سلامة، انظر أيّ شيء في بيت مالنا وخاصّنا لا في بيت مال المسلمين، فقال: بقية من مال، فقال: ادفع إليه منها مائة ألف وأدررها عليه في كل وقت مثل هذا، فقبضها؛ فلما كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون، فبكى عليه أبو العيناء حتى قرحت عيناه، فدخل عليه بعض ولده فقال له: يا أبتاه بعد ذهاب العين ما يغني البكاء؟ فأنشأ يقول: [من الكامل]

شَيْئَانِ لَوْ بَكَت الدِّماءُ عَلَيْهِمَا عَيْنايَ حَتّى يُؤْذِنا بِذهاب

لَمْ يَبْلُغا الْمِعْشارَ مِن حَقّيْهِما فَقْد الشَّبابِ وَفرْقَةِ الْأَحْباب"[(١)]

عفيف النفس، يعرف قدر نفسه، مقدر لمن يقدره ولا يذل نفسه لمن يتجاهله ومن لا يفي بوعده ومن يحسب أن عطاءه له رقة وبلاء، ومن أدلة ذلك أنه: "كان يجري على أبي العيناء رزق فتأخّر عنه فتقاضاه مرارا ثم تركه، وقال: لا حاجة لي فيه فهو رقّ لا رزق، وبلاء لا عطاء ومحنة لا منحة"[(٢)]، وتتضح بلاغته في التعبير عن مقاصده هنا باستخدام الجناس الذي يحدث أثراً موسيقاً في الكلام فيطرب الأذن ويشيع الجمال في النص.

(١) التذكرة الحمدونية ٣٥٤/٢، المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (ت ٨٥٢هـ)، ١٧٧، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

(٢) محاضرات الأدباء ٦٣١/١.

حاله مع شرب الخمر:

ذم شرب الخمر على ما يبدو من نوادره، "قَالَ المتَوَكل يَوْمًا لأبي العيناء: كَيفَ شربك النَّبِيذ؟ قَالَ: أعجز عَن قَلِيله، وأفتضح عِنْد كَثِيره..."[(١)].

ويبدو أنه قد زهد فيها مراعاة لدينه وحفاظاً لمروءته: "دخل أبو العيناء على المتوكل فقال: هل لك في الشراب؟ فقال: ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من سفه نفسه"[(٢)].

وفاته :

مات: في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقد جاوز التسعين[(٣)].

المدخل الثاني:
كلمة عن النوادر

ماهية النادرة:

تدور مادة: (ندر) في اللغة حول السقوط والشذوذ والخروج عن المألوف الظاهر، جاء في معاجم العربية: "ندر الشيء يندر ندوراً: سقط، وقيل: سقط وشذ، وقيل:... سقط من جوف شيء أو من أشياء فظهر، ومنه: (النوادر)، ونوادر الكلام: ما شذ وخرج من الجمهور"[(٤)]، "والندر: كل شيء زال عن مكانه

(١) نثر الدر في المحاضرات ١٥٢/٣.

(٢) محاضرات الأدباء ٧٨٠/١، جمع الجواهر ٧١، التذكرة الحمدونية ٣٧٤/٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٠٩/١٣، الأعلام ٣٣٤/٦.

(٤) لسان العرب، مادة (ندر)، ١٩٩/٥، ٢٠٠، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة (ندر)، ٣٠٧، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

فقد ندر يندر ندراً فهو نادر... وبه سمي نوادر الكلام لأنه كلام ندر فظهر من بين الكلام"[١]، والنوادر جمع، ومفردها: النادرة، وهي: "الطرفة من القول"[٢].

وعن سبب اختيار لفظ النادرة، فقد عبّر أصحاب المصنفات الفكاهية عن طرائف القول بعدة ألفاظ، منها: (الملح) و(الطرائف) و(النكات) و(اللطائف)، إلا أن أشهر ما استخدموه كان لفظ (النادرة).

وأرى أنه يمكن تعريف النادرة بأنها: جنس أدبي نثري يمثل خطاباً إخبارياً فكاهياً تواصلياً بين مرسل ومتلق، يثير في نفس المتلقي دهشة تدفعه للضحك أو تدفعه للصمت بعد إفحامه.

وتختلف غاياتها حسب مقتضيات المقام والأحوال، فربما قصد بها المزاح لذاته ونشر البشاشة أو إثارة السخرية وربما قصد بها التوجيه والإرشاد، وربما قصد بها الدفاع عن نفسه كما تختلف طريقة التعبير بها فإما أن يلجأ المتكلم إلى إفحام المخاطب فتكون مسكتة مفحمة أو يقصد الدفاع عن نفسه للخروج من ورطة فتكون حجاجية وربما يستلزم الموقف مراعاة الحكمة في مواجهة المخاطب لسبب ما فتكون نادرة بأسلوب الحكيم.

والفكاهة موجودة في الأدب العربي وفي بعض أجناسه الأدبية كالمقامات، وأتفق مع (العقاد) في اعتبار النوادر من الذخائر النفيسة في الأدب العربي والتي لا تتوفر في آداب الأمم الأخرى؛ لما تحمله من روح عربية ذكية، يقول: "فالآداب العربية مشحونة بالذخائر النفيسة التي عليها طابع الذهن العربي والحياة المشرقية لا يشركها فيها أدب من آداب الأمم الأخرى بمثل هذه الخصائص

(١) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، ٦٤١/٢، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، مادة: (ندر)، ٢/ ٩١٠، الناشر: دار الدعوة.

أو بمثل هذه الوفرة، وعندنا في الكتب المطبوعة والمخطوطة ثروة من أدب النوادر والفكاهات والأمثال والآراء الموجزة والملاحظات النفسية لا تجتمع في أدب أمة أخرى"(١).

ويميل الناس إلى الفكاهة، و"الأدب الفكاهي أكثر ألوان الأدب استهواءً للناس، ومع ذلك لم يحظ بما حظيت به الألوان الأخرى من الدراسة الجادة والحضور النقدي"(٢).

المُزاح في ديننا الحنيف:

إن المُزاح غير المخل بالأدب والشرع وغير المؤذي للناس مزاحٌ لا بأس به، وقد كان رسولنا (صلى الله عليه وسلم) يتبسم ويمزح ولا يقول إلا صدقاً، ويروي أنس بن مالك (رضي الله عنه) موقفاً لأعرابي أضحك النبي (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: "كُنْتُ أَمْشِي مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعليه بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حتَّى نَظَرْتُ إلى صَفْحَةِ عَاتِقِ النبيِّ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) قدْ أَثَّرَتْ به حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِن شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قالَ: مُرْ لي مِن مَالِ اللَّهِ الذي عِنْدَكَ، فالتفت إليه فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ له بعَطَاءٍ"(٣).

---

(١) من مقال: (إحياء الأدب العربي) للأستاذ: عباس محمود العقاد، مجلة الرسالة، أصدرها: أحمد حسن الزيات باشا (ت ١٣٨٨هـ)، عدد الأعداد: ١٠٢٥ عدداً (على مدار ٢١ عاما)، العدد: ٢٧٨، تاريخ النشر بالمكتبة الشاملة: ٩ ربيع الأول ١٤٣٢هـ.

(٢) الأدب الفكاهي، تأليف الدكتور عبد العزيز شرف، المقدمة (أ) ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٢م.

(٣) شروح الحديث، الكتاب: منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (ت ٩٢٦ هـ)، اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي، ٢٥٨/٦، الرقم: (٣١٤٩)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

"وقد اشتهر بعض الصحابة بكثرة المزاح وتعمد اختراع المواقف الطريفة، فهناك نوادر كثيرة لنعيمان بن عمر الأنصاري (رضي الله عنه)، وقد "روي أنه أهدى للنبي (صلى الله عليه وسلم) جرة عسل اشتراها من أعرابي بدينار، وأتى الأعرابي باب النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: خذ الثمن من هاهنا، فلما قسمها النبي (صلى الله عليه وسلم) نادى الأعرابي: ألا أعطني ثمن عسلي، فقال (صلى الله عليه وسلم): إحدى هنات نعيمان: وسأله: لم فعلت هذا؟ قال: أردت بِرِّك ولم يكن معي شيء فتبسم النبي (صلى الله عليه وسلم) وأعطى الأعرابي حقه"(١).

التحذير من الإسراف في الضحك:

في تراثنا العربي نصائح كثيرة تنهى عن كثرة الضحك، وتنصح بضرورة الاقتصاد في المزاح، وتشير إلى أن المُلح ينبغي ألا تكون إلا بقدر الحاجة إليها، من ذلك ما ورد في الأثر: إيّاك وكثرةَ الضَّحك فإنَّها تميتُ القلب وتورثُ النسيان. وفيه أيضاً: ويلٌ للّذي يُحدِّث فيكذبُ ليُضْحِكَ به القومَ، ويلٌ له، ويلٌ له. وقال عمر بن الخطاب: من كثر ضحكُه قلَّت هيبتُه، وقال عليٌّ: إذا ضحك العالم ضحكة مجَّ من العلم مَجَّة. وقالوا: كثرة الضَّحك تورثُ الرُّعونة"(٢).

(١) المُراح في المزاح، تأليف الإمام العلامة الشيخ بدر الدين أبي البركات محمد الغزي، المتوفى سنة ٩٨٤هـ، راجعه وعلق عليه: الدكتور السيد الجميلي، ٢٦، ٢٧، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٢) الذخائر والعبقريات، معجم ثقافي جامع، عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي الأديب المصري (ت ١٣٦٣هـ)، ١٨٥/٢، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

وقال آخر: "من كمال المرء مفاكهة إخوانه، إذ ممازحة الكريم تزيد في وده وتديم إخاءه"[١]، "وقال بعض البلغاء: المزاح خرف، والاقتصاد فيه ظرف، والإفراط فيه ندامة.

وقالوا: من كثر مزحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه. ويقال: أكثر أسباب القطيعة المزاح. وإن كان لا غنى للنفس عنه للجمام، فليكن بمقدار الملح فى الطعام"[٢].

أهمية النوادر:

لا شك أن الضحك له فوائده وبواعثه، وأن للبشاشة في وجه الآخرين تأثير عميق في النفوس، قالوا عن المضحكات والفكاهات والملح والنوادر: "واعلم أن هذا النوع هو للعقل فاكهة، كما أن الحكمة السابقة هي غذاؤه وقوامه، فلا بد من كل منهما في استصلاح العقول وإزالة جساوتها وتنمية ذكائها"[٣]، فالحكمة إذاً غذاء العقل والضحك فاكهته، وعن أبي العيناء: "سمعت الأصمعي يَقُول: النوادر تشحذ الأذهان، وتفتح الآذان"[٤]، وقد كثرت النوادر ومصنفاتها في العصر العباسي، وجاءت مناسبة لتغيرات العصر وطبيعة المجتمع آنذاك.

بناء النادرة:

بالنظر إلى كتاب البخلاء للجاحظ – وقد عنى هذا الكتاب بالنوادر– يلاحظ أن الجاحظ كان يكتب أخباراً في صورة قصصية، وهذه الأخبار تضمنت

(١) المحاضرات في اللغة والأدب ١١٨.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ٧٣/٤.

(٣) المحاضرات في اللغة والأدب ١١٨.

(٤) التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، ٤٥، دار ابن حزم، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

سنداً ومتناً، فالسند: مجموعة الرواة الذين ينقلون الخبر، والمتن: موضوع الخبر وكلاهما –السند والمتن– يشكل النادرة، غير أن نوادر أبي العيناء لم تأت على هذا النحو؛ وأعلل ذلك بأنه لم يكتب كتاباً في نوادره بل نقلها عنه رواته –كابن مكرم وأبي علي البصير وغيرهما– ثم نقلها كُتّاب المصنفات عن الرواة، وربما نقلوا باسمه مباشرة بعض النوادر فيقولون: (قال أبو العيناء).

ويستفاد من هذا أن النادرة ليس لها في الغالب قالب محدد، وبناء نادرة أبي العيناء لا يتحدد بقالب أدبي، وهذا لا ينفي جمالية النادرة وما لها من أثر في النفوس، فالنادرة جنس أدبي كغيره من الأجناس الأدبية لا تقتصر على شكل معين ولا تفرض على المتندر رؤية خاصة كما لا تفرض عليه موضوعاً محدداً للتندر وإثارة الضحك من خلاله، وبناء النادرة في الأساس عبارة عن: سند النادرة ومتنها، مثال هذا من النوادر الواردة عن أبي العيناء:

"وحدثني أبو القاسم إسماعيل المحاملي قال: حدثنا أبو العيناء قال: كتبت إلى صديق لي: (جعلت فداك من السوء كله)، فلقيني بعد ذلك فقال لي: أنا أستفيد منك أبداً لا عدمت ذلك، وقد كتبت إلي: (جعلت فداك من السوء كله)، فلقيني بعد ذلك فقال لي: أنا أستفيد منك أبداً لا عدمت ذلك، وقد كتبت إلي: (جعلت فداك من السوء كله)، أعزك الله ما السوء كله؟ قال: فعجبت وضحكت وقلت: نلتقي بعد هذا وتقع الفوائد"[(١)]، أي: ضَحِكَ أبو العيناء وعَجِبَ من عدم توجيه المتكلم هذا السؤال له منذ أول مرة لقيه فيها، وبقائه منشغلاً بالمعنى كل هذه المدة.

(١) أدب الكتاب، أبو بكر محمد بن يحى الصولي (ت ٣٣٥هـ)، نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، ١٥١، ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي، المطبعة السلفية بمصر، المكتبة العربية – ببغداد، ١٣٤١هـ.

ومثال ثان متفق مع بناء النادرة الأصلي: "سادلة البرقع: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ الأصبهاني بأصفهان، حدثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي، حدثنا محمد بن علي بن حرب المروزي، أخبرنا أبو الفتح عبد الواحد بن الحسين بن شيطا المقري، رحمه الله تعالى، حدثنا أبو القاسم إسماعيل بن سويد، حدثنا الكوكبي، أخبرنا أبو العيناء، أخبرني الجماز عن الأصمعي قال: نظر أعرابي إلى أعرابية عليها برقع، فقال لها: ارفعي البرقع أنظر نظرةً! فقالت: لا والله، دون أن يبيضّ القار "[1].

ومجيء النادرة بهذا القالب الموثق والمتضمن السند يمنحها مصداقية أكبر في نسبتها للمتندر المروي عنه.

أما عن **الراوي**: فقد لاحظت في بعض نوادر أبي العيناء اختلاف في اسم الراوي دون أن تختلف ألفاظ المتن كثيرا، مثل هذه النادرة:

"**قال ابن مكرم لأبي العيناء: يا مخنّث، فقال:** ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ **[يس : ٧٨]**"[2].

و"**قَالَ لعَلي بن الجهم: إِنَّمَا تبغض عَليّ بن أبي طَالب – رَضِي الله عَنهُ – لِأَنَّهُ كَانَ يقتل الْفَاعِل وَالْمَفْعُول، وَأَنت أَحدهمَا. قَالَ لَهُ: يَا مخنث. قَالَ:** ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ "[3].

و"**قال ابن مكرم لأبي العيناء يا قرد فقال:** ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ "[4]، معرضاً بقبحه.

---

(١) مصارع العشاق، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي، أبو محمد (ت ٥٠٠هـ)، ١٤٧/٢، دار صادر، بيروت.

(٢) محاضرات الأدباء ٤٦٧/١.

(٣) نثر الدر في المحاضرات ١٣٥/٣.

(٤) محاضرات الأدباء ٣٠٧/٢.

فقد ورد مرة أن القائل هو ابن مكرم لأبي العيناء، وورد مرة أخرى أن القائل: أبو العيناء لعلي بن الجهم، فهذا اختلاف في الراوي مع بقاء المتن على حالة واحدة وهي الاقتباس القرآني حتى مع اختلاف لفظ السباب (مخنث) أو (قرد) فإن المعنى لا يتغير كثيراً بما يحمله من هجاء مسكت ومفحم ولاذع.

وربما ترد نادرة دون ذكر اسمه بأن يكتب المصنف قبل النادرة: (وقال آخر) في الوقت الذي نجدها فيه قد اشتهر نسبتها لأبي العيناء عند غيره من المصنفين، مثال:

"قال آخر: ما استبّ اثنان إلّا غلب ألأمهما"(١)، وقد وردت العبارة في حوار بين أبي العيناء وابن مكرم في عدة مصنفات(٢).

وقد ترد النادرة على لسان أبي العيناء نفسه: فيقول المصنف: "قَالَ أَبُو العيناء: شكا بعض الْكتاب فِي نكبته وَكَانَ قد وزر فَقَالَ: أخذُوا مَالِي، وقلعوا أسناني إِلَّا أَن دَاري لم تَبْرَح مَكَاني"(٣).

(١) التذكرة الحمدونية ٢٧٥/١.

(٢) العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، ٢٨٣/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، وربيع الأبرار: ١٧٢، التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، ٤٥٥، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٤١٤، في البصائر والذخائر ٢/ ٥٥٧، إعتاب الكتاب، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور صالح الأشتر، ١٦٨، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦١م.

(٣) المصدر السابق ٢١٣/٣.

وربما لا أجد لبعض النوادر سوى رواية واحدة، مثل: "قال أبو العيناء: قلت لمعتوه عندنا مليح في يوم مطر: أخرج معنا إلى المصلّى، قال: على أن تعيرني صلعتك أتترّس بها من الصبيان"(١).

مقاصد النادرة:

كان لأبي العيناء أغراض من نوادره خاصة مع الرؤساء والوزراء، لعلها تتلخص في حديثه الذي ادّعى كونه لابنته، فربما أراد بهذا الادعاء أن يرق قلب المخاطب له، وينبهه إلى حاجته وحاجات بيته، تقول النادرة:

"قَالَ لَهُ صاعدٌ يَوْمًا: مَا الذي أخرك عنا؟ قال: بنيتي. قال: وكيف؟ قال: قالت: يا أبه، قد كنت تَغْدُو من عندنا فتأتي بالخلعة السّريَّة والجائزة السّنيَّة، ثم أنت الآن تغدو مسدفاً، وترجع معتماً، فإلى من؟ قلت: إلى أبي العلاء ذي الوزارتين، قالت: أيعطيك؟ قلت: لا، قالت: أيشفعك؟ قلت: لا، قالت: أفيرفع مجلسك؟ قلت: لا، فقالت: يا أبه، لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يُغني عنك شيئاً"(٢).

فأبو العيناء يحدد بهذه الكلمات التي قالها على لسان ابنته أغراضه من نوادره وأسماره وطرائفه، فهو يبتغي من منادمة الخلفاء والوزراء خاصة العطاء والعفو والشفاعة وعلو الهمة، ومن لم يجد لديه ذلك من هذه الطبقة من الناس فلا فائدة منه وكأنه لا يسمع لطيف كلماته، ولا يبصر حاله وهو رجل فاقد البصر، ولا يدفع عنه شيئاً، فلم يضيع وقته مع من كانت هذه صفته؟!

(١) التذكرة الحمدونية ٤٥٨/٩.

(٢) نثر الدر في المحاضرات ١٣٣/٣، نهاية الأرب في فنون الأدب ٧١/٤.

الفصل الأول:

موضوعات نوادر أبي العيناء

إن النادرة لها غايات ومقاصد كالسخرية والهجاء وإثارة الضحك وما إلى ذلك، وتبعاً لغايات المتندر ومقاصده في المواقف التي يتعرض لها تختلف موضوعات نوادره، وعلى هذا فقد تعددت موضوعات نوادر أبي العيناء– وهو في نوادره إما راوٍ أو مروي عنه– لتشمل نوادر ساخرة من بعض أفراد مجتمعه كالبخلاء والحمقى والمغفلين والمجانين، ونوادر الظرفاء، ونوادر لغوية، وأخرى سياسية.

أولاً: نوادر ساخرة من بعض أفراد مجتمعه:

وهي عبارة عن نوادر وفكاهات تحكي جزءاً من واقع مجتمعه وبيئته، ساخرة من الحمقى والمغفلين في زمانه؛ للتندر بحمق أحدهم وجهله، إما لصدور سلوك غريب عنه أو قول عجيب يجعله مدعاة للتندر.

(١) **نوادر الحمقى والمغفلين**، وهي أخبار تحكي كلامهم وردودهم وتصرفاتهم الحمقاء، منها:

"**عن أبي العيناء قال: كان المدني في الصف من وراء الإمام، فذكر الإمام شيئاً فقطع الصلاة وقدم المدني ليؤمهم، فوقف طويلاً، فلما أعيا الناس سبحوا له وهو لا يتحرك فنحوه وقدموا غيره، فعاتبوه فقال: ظننته يقول لي: احفظ مكاني حتى أجيء**"[(١)].

يروي أبو العيناء قصة رجل وقف مكان الخطيب، ومن الواضح أنه مكان لا يستحق الوقوف فيه؛ لجهله بدليل اكتفائه بالصمت، وظنه أن الإمام يريده أن

(١) أخبار الحمقى والمغفلين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، شرحه: عبد الأمير مهنا، ١١٩، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

يحفظ مكانه حتى يعود، فصمته وعدم استجابته للناس حين سبحوا له وعدم فهمه لمقصدهم من التسبيح دلالة على جهله بأمور دينه، أما قوله: "ظننته يقول لي: احفظ مكاني حتى أجيء" فقد جعله هذا القول مثار ضحك وسخرية.

والتعبير بلفظ: (ظننته) الذي جاء بعد أن (عاتبوه) يبدو من خلاله اعتراف الرجل بخطئه بعد أن شرح له المصلون.

وفي كتاب (أخبار الحمقى) صدرت هذه النادرة بعنوان: "في ذكر المغفلين من الأئمة"(١)، وهذا وصف للإمام ذاته أيضاً حيث أخطأ مرتين: الأولى حين قطع الصلاة، والثانية حين قدم مغفلاً آخر ليؤم الناس!

ومنها: "**عن أبي العيناء قال: قال لي الجاحظ: كان لنا جار مغفل جداً وكان طويل اللحية فقالت له امرأته: من حمقك طالت لحيتك، فقال: من عَيَّرَ عُيِّرَ**"(٢).

يروي أبو العيناء قصة أخرى عن جاره الذي وصفه بأنه (مغفل جدا)؛ لأنه لما عيرته امرأته بحمقه وطول لحيته، أجابها بأن من يُعَيِّر بشيء يُعَيَّر به لاحقاً، فكان هذا الرد مدعاة للسخرية والضحك؛ لأن طول اللحية لا يمكن أن تعير به امرأة يوما ما! فهذا أحمق لم يعرف كيف يرد على من يعيره ولم يصب القول، وفي تعبيره بجملة الشرط (من عَيَّر عُيِّر) تأكيد على حمقه؛ لأن جملة الشرط مؤكدة فيها شرط وجواب، وإذا تحقق الشرط تحقق الجواب، والتحقق هنا مستحيل.

ومما ورد في أخبار الحمقى أيضاً: نادرة النداء على مصحف مخلق الأداة وهي نادرة أوقعت به في يد السلطان، وهذه نادرة تعد قصة فكاهية:

(١) أخبار الحمقى والمغفلين ١١٩.

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ١٥٤.

"قال علي بن سليمان الأخفش: سمعت أبا العيناء يقول: كنت يوماً في الورّاقين، إذ رأيت منادياً مغفّلاً، في يده مصحف مُخْلَق الأداة[١]، فقلت له: ناد عليه بالبراءة ممّا فيه- وأنا أعني أداته- فأقبل ينادي بذلك، فاجتمع أهل السّوق والمارّة على المنادي، وقالوا لهُ: يا عدوّ الله! تنادي على مصحف بالبراءة ممّا فيه.

قال: وأوقعوا به، فقال لهم: ذلك الرّجل القاعد أمرني بذلك؛ فتركوا المنادي، وأقبلوا عليّ، ورفعوني إلى الوالي، وكتب في أمري إلى السلطان، فأمر بحملي، فحملت مستوثقاً مني، واتصل خبري بابن أبي داؤدٍ، فلم يزل يتلطّف في أمري حتى خلّصني"[٢].

والرواية مكانها في الوراقين والخبر يحكيه (علي بن سليمان الأخفش) عن أبي العيناء الذي رأى مصحفاً مخلَّق الأداة في يد مغفل فنصحه أن ينادي عليه بالبراءة من عيب في غلافه وأوراقه فنادى المغفل بالبراءة مما فيه، الأمر الذي أثار غضب السامعين واصفين إياه بعدو الله ظناً منهم أنه ينادي بالبراءة من أحكامه وتشريعاته وتوجيهاته وأنه يكفر بما جاء فيه، ونداؤهم له (يا عدو الله) هذا الأسلوب الإنشائي دل على معنى مجازي هو: تحقيرهم له وتكفيره، فأرشد الرجل إلى أبي العيناء فوصل أمره إلى السلطان ولم يخلصه من هذا المأزق

(١) "دَرَسَ الثَّوْبُ دَرْسَاً أَيْ أَخْلَقَ" و"أَخْلَقَ الدَّهْرُ الشَّيْءَ: أَبْلاهُ"، "وتَرَدَّمَ الثوبُ أَي أَخْلَقَ واسْتَرْقَعَ فَهُوَ مُتَرَدِّمٌ"، و"نَامَ الثوبُ والفَرْوُ يَنَامُ نَوْماً: أَخْلَقَ وانْقَطَعَ" لسان العرب، المواد: (درس) و(خلق) و(ردم) و(نوم) ٧٩/٦، ٨٩/١٠، ٢٣٦/١٢، ٥٩٨/١٢. وفي المعجم الوسيط: "(أخلق) الثَّوْب وَالْجَلد وَغَيرهمَا بلي" مادة: (خلق) ٢٥٢/١، وفي الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية: "وأَرَثُّ الثوبُ، أي أَخْلَقَ" مادة: (رثث) ٢٨٣/١. وليست (مُخَلَّق) بتشديد اللام؛ لأن معناها: "أَملَسُ مُستوٍ" لسان العرب، مادتي: (خلق) ٩٠/١٠.

(٢) أخبار الظراف ٩١، أخبار الحمقى والمغفلين١٥٦.

سوى ابن أبي داود، وقول أبي العيناء: "وأنا أعني أداته" جملة اعتراضية مؤكدة لبراءته وسلامة نيته.

ومن النوادر الساخرة من الحمقى والمغفلين: "**قَالَ يَوْمًا لرجل سلم عَلَيْهِ: من أَنْت؟ قَالَ: رجلٌ من ولد آدم. قالَ: ادن مني عانقني، فما ظَنَنْت أَنه بَقِي من هَذَا النَّسْل أحد**"(١).

هذا رجل من العامة يسأله أبو العيناء عمن يكون، فيجيبه الرجل بجواب مدعاة للتندر: "رجل من ولد آدم" وحذف المسند إليه (أنا)؛ اعتماداً على فهم السامع، أما قول أبي العيناء: "ادن مني عانقني" فهو أسلوب إنشائي غرضه المجازي هو: التهكم من هذا الرجل، فكل البشر بنو آدم، إلا أن إجابة الرجل أخذها أبو العيناء بطريق الفكاهة، وجعل يتندر عليه؛ لأن الرجل تكلف في التعبير في إفادة من هو، حتى إنه حين جاوب لم يُفِدْ السامع بشيء، وكان الأجدر أن يقول: أنا فلان.

(٢) نوادر المجانين:

"**قال أبو العيناء: قلت لمعتوه عندنا مليح في يوم مطر: أخرج معنا إلى المصلّى، قال: على أن تعيرني صلعتك أتترّس بها من الصبيان**"(٢).

يحكي أبو العيناء خبرَ معتوهٍ، والمكان يوم ممطر، طلب منه أبو العيناء الذهاب معه للمصلى فاشترط أن يعيره أبو العيناء صلعته كي يجعلها ترساً يحميه من الصغار، فهذا معتوه إلا أنه ولا شك قد لاقى من الصغار كثيراً من

(١) نثر الدر في المحاضرات ١٣٤/٣، زهر الآداب ٣٢٨/١، التذكرة الحمدونية ٤٠٩/٩، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر ٣٢.

(٢) التذكرة الحمدونية ٤٥٨/٩.

الأذى مما جعله يخشاهم ويتخوف من لقياهم، وهذه صورة متكررة في بعض المجتمعات!

وقد حذف جملة (أخرج معك) قبل قوله: (على أن تعيرني صلعتك)؛ والحذف لضيق المقام، ولو كان المتكلم عاقلاً لقلت بسبب أوان الصلاة لكنه مجنون، لذا فضيق المقام هنا سببه التوجع والخوف من تكرر حدوث الضرر.

(٣) نوادر البخلاء:

"**قال أبو العيناء: دعاني جار لي إلى وليمة، وكان بخيلاً، فرأيته يدور على الموائد ويتنفّس الصعداء ويقول:** ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ **[الإنسان: ١٢]**"(١).

هذه نادرة تتحدث عن أحد البخلاء، وكان جاراً له دعاه إلى وليمة، وجملة: "كان بخيلا" جملة اعتراضية مؤكدة حيث أكدت معرفة أبي العيناء بحال جاره ثم يعبر أبو العيناء بلفظ: "فرأيته"، وليس من رأى كمن سمع، لذا فالخبر تتأكد مصداقيته بهذا اللفظ ثم وصف حاله بالوصل بين الأفعال: "يدور" و"يتنفس" و"يقول"، وهذا الوصل أفاد توتر الجار واشتعال النار في صدره؛ لبخله الشديد، وحيث إن البخل مناف لصفات العرب فهذا الجار حريص على ألا يظهر بخله أمام ضيوفه، لذا اقتبس من كتاب الله ما يهديء نفسه ويصبرها ويدعو الآخرين كذلك للصبر، هو قوله (تعالى): ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ .

و"**قال أبو العيناء: كنا على مائدة بعض الرؤساء، فَقُدِّمَ إلينا جدي مشوي، فلما ضرب الناس فيه بأيديهم، قال صاحب البيت: أما أنتم مسلمون؟ فارفقوا به رحمكم الله، فإنه بهيمة**"(٢).

(١) التذكرة الحمدونية ٣٧٩/٢، نثر الدر في المحاضرات ٢٠٠/٣.

(٢) حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات ٣٥، البصائر والذخائر ٧/ ١٧٩، نثر الدر في المحاضرات ١٩٧/٣.

يروي أبو العيناء متندراً موقفاً شاهده، إذ يروي هذا الخبر بلفظ "أكلتُ"، أما قول الرجل: "ارفقوا" فهو فعل أمر مثير للدهشة في نفوس القوم الذين همّوا بالأكل فعلاً لكنه يدافع ويحاجج ظانّاً أنه قد يزيل دهشتهم، قائلاً: "إنه بهيمة" فآلية الحجاج هنا هي التوكيد بـ "إنَّ" من أجل إقناع السامعين بالتريث.

ثانياً: نوادر الظرفاء:

في ملح أبي العيناء نوادر قصد به الطرافة لذاتها وإضحاك المخاطب، وهي وإن كانت لأشخاص من أهل عصره إلا أنها ليست من باب السخرية؛ لذا أفردتها بالحديث هنا، ومن نوادر الظرفاء:

"**شكا رجل إلى أبي العيناء امرأته فقال: أتحبّ أن تموت؟ قال: لا والذي لا إله إلا هو، قال: ولم يا ويحك، وأنت معذّب بها؟ فقال: أخشى والله أن أموت من الفرح**"(١).

جاء رجل إلى أبي العيناء يشكو بحرقة ووجع فبادره أبو العيناء بالسؤال: "أتحب أن تموت؟" فأجاب الرجل بالنفي مقسماً: "لا والذي لا إله إلا هو" و(القسم) يفيد التأكيد على عدم رغبته في الخلاص منها، ما جعل أبو العيناء يستفهم مرة ثانية: "ولم ويحك؟" ويستفاد من هذا الاستفهام معنى مجازياً هو التعجب، إذ يتعجب من الرجل حيث أجابه بالنفي وأبدى عدم رغبته في موتها، وكان من المتوقع بعد شكواه التي أظهرها لأبي العيناء أن يجيبه بالإثبات، فجاءت إجابة الرجل: "أخشى والله أن أموت من الفرح"، وهذه الجملة بذاتها تحمل رغبة خفية في التخلص من زوجته وأن ذاك الحدث – أي موت امرأته– يغمره بالفرح لكن خشيته على نفسه بسبب شدة فرحته أكبر فربما مات من بعدها جراء هذا الفرح الشديد الذي تبين أنه سيبلغ لديه أقصى مدى!

(١) التذكرة الحمدونية ١٨٩/٤، البصائر والذخائر ١٩٨/٥ ، ربيع الأبرار ٢٥٠/٤.

وتداول هذه النادرة بين الناس، وتسجيل المصنفون لهذا الخبر دليل على ما لها من أثر في إثارة الضحك في نفوس السامعين.

ومن نوادر الظرفاء: "**لقيه رجلٌ من إخوانه فقال له: أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك وسعادتك، فقال أبو العيناء: هَذَا العنوان، فكتاب من أنت؟**"(١).

يريد أبو العيناء أن يرشد مخاطبه إلى طول ما ألقاه عليه من كلام بقصد التحية وإلقاء السلام حتى بدا كلامه كأنه عنوان لكتاب ما، وفي استخدام اسم الاشارة "هذا" للقريب في قوله: "هذا العنوان" بيان لاستخفاف أبي العيناء بما جاء به المتكلم من كلام كثير في مقام إلقاء التحية، وبهذا فالمتكلم قد حاد عن الفصاحة حين لم يراع المقامات فأطال ولم يوجز، لذا يسأله أبو العيناء: "فكتاب من أنت؟" قاصداً بسؤاله معنى مجازياً يفهم من سياق الكلام هو: التهكم والسخرية، و(الفاء) للتعقيب تدل على أن السؤال الذي وجهه أبو العيناء للمخاطب جاء عقب كلامه وإن دل التعقيب على وجود مهلة وفارق زمني صغير فما هي إلا مهلة لأجل الإنصات إلى المتكلم لعله يوجز ويقول ما يفيد.

وقد جاء عن العرب النهي عن مثل هذا، قال ابن المقفع: "لا تكوننّ نزر الكلام والسلام ولا تتهافتن بالبشاشة والهشاشة، فإن أحدهما كبر والآخر سخف. وقال الشعبي: انتهت التحية إلى قولهم وبركاته"(٢).

ومن نوادر الظرفاء أيضاً: "**قال أبو العيناء: رأيت صياداً معه بومتان فساومته بهما، قال: الكبرى بدرهمين، والصغرى بثلاثة، قلت: وكيف صارت الصغرى أغلى من الكبرى؟ قال: لأن شؤمها في إقبال**"(٣).

---

(١) نثر الدر في المحاضرات٣/١٣٩، التذكرة الحمدونية ٩/٤١٠.

(٢) محاضرات الأدباء ١/٤٧٨.

(٣) المجموع اللفيف، أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي (ت بعد ٥١٥هـ)، ٣٨، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

تنقل لنا هذه النادرة صورة من بيئته، فقد رأى أبو العيناء صياداً معه بومتان إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة، فبدأ في مفاوضته في سعرهما من أجل الشراء، ولأنها مهنة يمتهنها الصياد فقد كان قادراً على المساومة في سعرهما بذكاء، حيث أخبر أبا العيناء أن الكبرى تقل قيمتها عن الصغرى مما أثار هذا التقدير لثمنهما من قبله سؤالاً هاماً من أبي العيناء: "وكيف صارت الصغرى أغلى من الكبرى؟" وهذا التعبير الإنشائي له مدلول مجازي هو التعجب فالشيء الصغير يقل ثمنه عن الكبير من جنسه لكن ما ذكره الصياد خالف العرف والعادة مما أثار دهشة أبي العيناء وعجبه.

أما عن الصياد فيجد المتلقي جواباً مسكتاً لديه بأسلوب التعليل قائلاً: "لأن شؤمها في إقبال"، و"لأن" بما فيها من (لام) التعليل و(أنّ) الموكِّدة، لها وظيفة حجاجية، الغرض منها إقناع أبي العيناء بفكرة ارتفاع سعر الصغرى، فهذه بومة صغيرة ما زال شؤمها في إقبال بينما الكبيرة قد شاخت وفقدت من هذه المهارة الكثير، على حد رأيه!

وهنا تحضرني كلمة قالها الأستاذ العقاد عن بعض الشخصيات في الأدب العربي تلك التي قد يهملها الباحثون وتهملها الدراسات، وفي إهمالها واحتقارها ظلم لها، يقول عن هذه الشخصيات التي ربما تكثر في النوادر والحكم والأمثال وما هو من أمثال هذه الفرائد: "وإن في كلمة من بعض كلماتها، وفي حيلة من بعض حيلها، وفي خطة من بعض خططها، ما يسلكها بين أعظم الشخوص العالمية التي تحيا في سجلات التاريخ بكلمة أو بمشورة أو بخليقة من خلائق السيادة والسياسة"[1].

(١) من مقال: (إحياء الأدب العربي) للأستاذ: عباس محمود العقاد، مجلة الرسالة، العدد: ٢٧٨.

ثالثاً: نوادر لغوية:

وهي نوادر برزت فيها العناية باللغة العربية وقواعدها، ومنها:

(١) المتحذلقون في كلامهم ومدعي الفصاحة مثل:

"عن أبي العيناء عن العطوي الشاعر أنه دخل إلى رجل عندنا بالبصرة وهو يجود بنفسه، فقال له: يا فلان قل: (لا إله إلا الله) وإن شئت فقل: (لا إله إلا الله) والأولى أحب إلى سيبويه، ثم اتبع أبو العيناء ذاك بأن قال: سمعتم ابن الفاعلة يعرض أقوال النحويين على رجل يموت"[(١)].

فهذا نحوي لما أراد أن يُذَكِّر المحتضر بالشهادة بدر إلى ذهنه أن يذكره برأي سيبويه في جملة (لا إله إلا الله)، وهي عند سيبويه في محل رفع بالابتداء، ذكر البجيرمي في حاشيته على الخطيب: "قوله: (أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ) أي: (لا معبود بحق في الوجود إلا اللهُ) بالرفع بدل من محل (لا) واسمها؛ لأن محلهما رفع بالابتداء عند سيبويه، أو بدل من الضمير المستتر في خبر (لا) المحذوف، والتقدير: (لا إلَهَ موجودٌ إلا اللهُ)، أو بالنصب على الاستثناء، ولا يصح جعله بدلا من محل اسم (لا)؛ لأن (لا) لا تعمل في المعارف"[(٢)].

والمحتضر في موقفه هذا لا يعنيه آراء النحاة؛ لذا سخر منه أبو العيناء وسبه؛ لأنه يشرح أقوال النحاة لرجل في آخر لحظات عمره، وفي رواية: "لرجل عليل"[(٣)] وأن أبا العليل قال للرجل: "حرمني الله أجره إن لم يكن مشهدك له أشد

(١) أخبار الحمقى والمغفلين١٢٨.

(٢) تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (ت ١٢٢١هـ)، ١٠/١، دار الفكر، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٣) نثر الدر في المحاضرات ١٨٠/٥.

علي من موته"[1]، فهذا النحوي مغفل متحذلق لم يختر الوقت المناسب لشرح القاعدة النحوية فلم يرق كلامه لكل من سمعه؛ إذ ليس كل وقت يعد صالحاً لتذكير الناس بقواعد العلوم، وهذا موقف إنساني له واجباته، لذا صار القائل عرضة للتندر.

ومما ورد أيضاً من أخبار متصنعي المعرفة، تصنع أحدهم بمعرفة البلاغة: "**عن أبي العيناء قال: كان عندنا بالبصرة رجل يكنى أبا حفص، ويلقب ببلاغة، قال: كان يمر بالقوم فيقول: أنتم لا صبحكم الله إلا بالخير، ويمر بآخرين ويقول: أنتم لا مساكم الله إلا بالكرامة، وكان لا يمر آخر كلامه حتى يسبح**"[2].

في هذه النادرة حرص أبو العيناء على التصريح بلقب المُتَنَدَّرِ منه: (بلاغة) زيادة في التهكم والسخرية، فهذا لقبه لكنه لا يراعي المقام، حتى وإن اختار اللفظ الفصيح، إذ يؤثر استخدام أسلوب القصر بطريق (النفي والاستثناء)، بقوله: "أنتم لا صبحكم الله إلا بالخير" و"أنتم لا مساكم الله إلا بالكرامة" وهذا إطناب فيه تصنع لا فائدة منه ولا طائل فنيّ من ورائه.

يقول الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ): "اعلم أنه قد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له في أصل المعنى"[3]، والكلام هنا غير ملائم للمقام فالمقام سلام عابر على قوم يمر بهم، وتعبير المتكلم بأسلوب القصر في الدعاء لهم كلام زائد على أصل

(١) المصدر السابق ١٨٠/٥.

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين١٦٣.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، ٣٢٤/٣، دار الجيل، بيروت، ط٣.

المعنى، وكان من الأفضل أن يكتفي بقول: "صبحكم الله بالخير" و"مساكم الله بالكرامة"؛ ليكون أبلغ أثراً وأقرب وصولاً لقلب السامع، فمن البلاغة مراعاة المقام ومقتضى الحال، لكن المدعو (بلاغة) – الذي اتخذه أبو العيناء مادة لتندره– يخالف لقبه بتصنعه.

(٢) النحت:

والنحت عبارة عن لفظ واحد ينتج عن ضم لفظين فـ "العرب تَنْحَتُ من كلمتين كلمةً واحدة، وهو جنس من الاختصار"[(١)]، ومن النوادر التي شكل النحت مبناها الفكاهي:

"**دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده أبو عبد الله بن المرزبان. فقال لابن منارة: أحب أن أعبث بأبي العيناء. فقال له: لا تقوم به. فأبى إلا العبث به، فلما جلس أبو العيناء قال له: يا أبا عبد الله؛ لم لبست جباعة؟ قال: وما الجباعة؟ قال: التي ما بين جبة ودراعة. قال أبو العيناء: لأنك صفديم. قال: وما صفديم؟ قال: الذي هو ما بين صفعان ونديم**"[(٢)].

أراد (ابن المرزبان) العبث بأبي العيناء فنبهه (ابن منارة) قائلا: "لا تقوم به" وهنا حذف المسند إليه (الفاعل) أي لا تقوم به (حجتك) وهذا لغرض معنوي هو كون المحذوف معلوم للمخاطب، وفي هذا توضيح وإشارة قوية وبيان لفطنة أبي العيناء وضرورة اتخاذ الحذر منه، ويبدو حرص المتكلم على نصح المخاطب (ابن المرزبان) بعدم التصدي لأبي العيناء؛ لأنه لن يقوى عليه مهما بلغت قوة حججه، ولن يقدر على مجاراة حنكته وخبرته وسرعة بديهته غير أن

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، ٢٠٩، الناشر: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

(٢) جمع الجواهر ٨٥، البصائر والذخائر ٦/٢٣١.

(ابن المرزبان) أبى إلا العبث بأبي العيناء مجهزاً له لفظة نحتها من كلمتين وهي (الجباعة) ظناً منه أنه قد برع فيما لن يقدر على مثله أبو العيناء، فلما جلس أبو العيناء بادره بسؤاله الذي أعدَّه له مسبقاً: "يا أبا عبد الله لم لبست جباعة؟"

وأستشعِرُ في ندائه إياه بـ (أبا عبد الله) تلطُّفاً خفياً وجبناً مَطوياً، وما كان من أبي العيناء إلا أن فطن إلى مقصد المتكلم من سؤاله وهو السخرية منه والعبث به فلا شيء في علمه يسمى (الجباعة) فأسرع أبو العيناء يجيبه بكل حكمة وثبات لكن جوابه كان بسؤال آخر: "وما الجباعة؟" فأفاده المتكلم بمعناها قائلاً: "التي ما بين جبة ودراعة" أي لا هي جبة ولا هي دراعة، وكانت هذه الإجابة بمثابة اعتراف من المتكلم بقيامه بنحت الكلمات والتلاعب بالألفاظ رغبة في وضع أبي العيناء في موقف المُتَنَدَّر منه، إلا أن أبا العيناء المُتَنَدِّر الكبير الذي سرعان ما فطن إلى ذلك ساعدته بديهته الحاضرة على الإتيان بجواب من نفس هيئة السؤال ومناسب له – أي فيه نحت أيضاً– مجيباً بقوله: "لأنك صفديم" مما أدهش المخاطب واضطره للاستفهام متعجباً: "وما صفديم؟" ليكتشف أن (صفديم) من اختراع أبي العيناء حيث أجابه بقوله: 'الذي هو ما بين صفعان ونديم"، وفي رواية: "فوجم لذلك وضحك أهل المجلس"[1] مما يدل على أن أبا العيناء قد أفحمه، وأن إجابته المسكتة قد أدت مقصدها.

فهذا نحت للألفاظ أريد به استفزاز أبي العيناء ولكنه لسرعة بديهته وجودة قريحته استطاع الانتصار لذاته ورد الاستهزاء على المخاطب، وأبو العيناء هنا يجري عليه ما جاء في العقد الفريد: "فلا يزال في نسج الكلام واستئناسه، حتى

(١) البصائر والذخائر ٦/ ٢٣١.

إذا اطمأن شارده، وسكن نافره، صك به خصمه جملة واحدة"[١]، ورشقه رشقة تسكته.

(٣) تصحيح قاعدة نحوية:

وهي نوادر برزت فيها العناية باللغة وقواعدها، وفيها يلحن المتكلم إلا أن المتلقي يرده عن خطئه، من ذلك: "**قال رجل لأبي العيناء أتأمر بشيأ؟ فقال نعم بتقوى الله، وحذف الألف من شيئا**"[٢].

هذه نادرة فيها تواصل بين طرفين، مرسل ومتلق، الأول: (رجل) والثاني: (أبو العيناء): سأل الرجل أبا العيناء: "أتأمر بشيئاً؟" وفي سؤاله هذا جهل تام بقواعد النحو حيث إن لفظ (شيء) اسم مجرور بحرف الباء وعلامة جره الكسرة لكنه أتى به منصوباً، الأمر الذي انزعج بسببه أبو العيناء فأتى جوابه من شقين جامعا بينهما بحرف الواو (تقوى الله) و(حذف الألف من شيئاً)، والجمع بين هذين الأمرين أفاد اقترانهما وكونهما شيئاً واحداً (تقوى الله) و(مراعاة قواعد العربية) التي نزل بها كلام الله (عز وجل).

(٤) الوصف بمصطلحات نحوية:

"**حكي أن أبا العيناء سأل ابن أخت أبي الوزير حاجة فلم يقضها له فقال: إنما ألوم نفسي في تأميلك وأنت مضاف إلى مضاف**"[٣].

هذه رواية حكيت عن أبي العيناء أنه سال ابن أخت أبي الوزير مطلباً فلم ينفذه له، وسرعان ما أجابه: "إنما ألوم نفسي في تأميلك" مؤكداً بـ (إنما) لومه لنفسه في إحسان الظن بالمخاطب، وأبو العيناء يبدي جرأة كبيرة هنا، وهو أمر تكرر منه كثيراً في نوادره، وكان بإمكانه أن يسر لنفسه بما لام به نفسه ولكنه

(١) العقد الفريد ٨٩/٤.

(٢) محاضرات الأدباء ٩١/١، التذكرة الحمدونية ٤٠٢/٩.

(٣) محاضرات الأدباء ٣٧٤/٢.

صرح به مؤكداً عليه، وزيادة في الإفحام قام بتوظيف مصطلحات نحوية في التعبير عن معناه المراد مشبهاً المخاطب تشبيهاً بليغاً بالمضاف إلى المضاف في قوله: "أنت مضاف إلى مضاف"، ويتضح في هذه النادرة توظيف قواعد اللغة في التعبير عن المعنى المراد بما يتلاءم مع حال المخاطب.

(٥) التصحيف

ومنه: "**قال الدارقطني: وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أبو العيناء قال: حضرت مجلس بعض المحدثين المغفلين فأسند حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن الله عن رجل، فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟ فإذا هو قد صحفه، وإذ هو (عز وجل). وقد نبأنا بهذه الحكاية أبو عبد الله الحسين بن محمد البارع قال: سمعت القاضي أبا بكر بن أحمد بن كامل يقول: حضرت بعض المشايخ المغفلين فقال: عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن جبريل عن الله (عن وجل). فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله، فإذا هو عز وجل وقد صحفه**"[(١)].

هذه نادرة في تصحيف سند أحد الأحاديث، وهذه نادرة تتميز بوجود السند: "حدثني...." وربما هذا مما يؤكد صدورها حتى وإن اختلف المخبرين والمحدثين بهذه الرواية والذين نُقلت عنهم؛ فالحاضرين كُثُر ومجالس العلم تعج بالمريدين، وفي كلا الروايتين جاء التصحيف في قوله: "عز وجل" وهذا تصحيف يكفر به صاحبه، وعلى الرواية الأولى "فقلت" أي: يتندر أبو العيناء قائلاً: "من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟" وهذا استفهام دل على معنى مجازي هو الإنكار، والمراد: (الإنكار التكذيبي)؛ لأن المعنى: لا يمكن أن يكون ذلك، فأبو العيناء ينكر على القاريء أن يلحن في أمر كهذا.

(١) أخبار الحمقى والمغفلين ٨٤.

ومن التصحيف أيضاً: "قال أبو العيناء: كتب رجل إلى صديق له: عافانا الله وإياك من الشر كله، فقرأه من الشوكلة ثم كتب إليه: ما أعرف الشوكلة في العلل فعرفني"(١).

فـ"الشوكلة": تصحيف، والصواب: الشر كله، وبالبديهة يفهم معنى الرسالة وأن كاتبها يدعو لصديقه أن يعافيه الله من الشر كله إلا أن المرسل إليه مغفل لم يفهم فحوى الرسالة على ما يبدو! وهذه النادرة ربما تشير إلى سوء حظ الكاتب بصديق كهذا بطيء الفهم أو إلى عدم دقة في كتابة الحروف أصلاً.

رابعاً: نوادر سياسية

وأعني بها النوادر التي يكون فيها أحد الحكام طرفاً في الحوار، حيث نادم أبو العيناء الخلفاء، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل استطاع أبو العيناء التندر والمزاح في مجالس هؤلاء، وهل كان يأمن غضبهم فكان يتندر وسط الحاضرين دون خوف أو توتر؟

والجواب المختصر لهذا السؤال: نعم، استطاع أبو العيناء التندر وإثارة الضحك في مجالس الخلفاء ببديهة حاضرة وذكاء متقد ساعداه على أن يأمن غضبهم، فالضحك فطرة قد يسيطر على مشاعر الإنسان إثر حدوث موقف ما أو إثر سماعه لكلام ما.

و"إذا كان الأدب الفكاهي يستهوي جمهوره فإن مرجع ذلك إلى البديهة الحاضرة التي تجعل الفكاهة تصل إلى أغوار الأفكار والمشاعر المتضادة، تخلق – ولو إلى حين – وئاماً شاملاً بين أناس تباينت مآربهم، واحتدم بينهم الخصام

(١) البصائر والذخائر ٣/٤٤.

في أمور السياسة والأخلاق بل في الشخصية نفسها"[١]، وفي مثل هذه المجالس كثيراً ما يحتدم الخصام.

وقد نُقِلت عن أبي العَيناء نوادرُ كثيرة مع الخلفاء والوزراء والحكام، منها: "**أنّه حضر مجلسَ بعض الوزراء، فتعارضوا حديثَ بعض البرامكة، وكرمِهم، وما كانوا عليه من الجود، فقال الوزيرُ لأبي العيناء، وقد كان أمعنَ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال: قد أكثرْتَ من ذكرِهم ووصفِك إيّاهم، وإنّما هذا من تصنيف الوَرَّاقين، وتأليف المُحَسِّنين، فقال له أبو العيناء: فلمَ لا يكذبُ الوَرَّاقونَ عليكَ أيها الوزير بالبذل والجود؟! فأمسَكَ عنه الوزير، وتعجّب الناس من إقدامه عليه**"[٢].

تميز أبو العيناء بالجرأة والوضوح في التعبير عن آرائه في كثير من نوادره، وهنا يرد على الوزير بعد أن قال كلمته: "وإنما هذا من تصنيف الوراقين" مؤكداً كلمته بـ (إنما)؛ ليبدي اقتناعه بما يقول، وأن مدح أبي العيناء وغيره ليس إلا بسبب ما ادّعاه الوراقون في كتاباتهم وتأليف المجودين أفعالهم، فيأتي رد أبي العيناء مفحماً مسكتاً: "ولم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود؟" مستعيناً بالأسلوب الإنشائي (الاستفهام)؛ لغرض مجازي هو التعجب، أي إذا كان الوراقون كاذبين في تمجيد أشخاص ووصف سخائهم فما الذي يمنعهم من الكذب على الوزير وإدعاء جوده ووافر عطائه؟!

---

(١) الأدب الفكاهي ٥.

(٢) نثر الدر في المحاضرات ١٣٤/٣، الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، التذكرة الحمدونية ٣٧٠/٢.

وتعبير أبي العيناء بالأسلوب الإنشائي أفاد (التعريض)، إذ يلمح من خلال سؤاله التعريض بالوزير وأنه في الكرم لا يساوي كرم من أمعن في وصفهم، إذ المراد أن الوراقين غير كاذبين لكنك تقصر عن بلوغ مكانتهم في البذل والجود، وهذه جرأة يتعجب منها، وفي التعريض بلاغة؛ لما فيه من تلميح، إذ في التصريح في هذا المقام عقاب محتمل.

وغالباً ما تكون النوادر السياسية جامعة بين الجد والهزل، مثل النادرة التالية:

"**لقي أبو العيناء الفتح بن خاقان في حاجة فوعده ثم لقيه فوعده، فلما كان في الثالثة ألفاه على حال ضجر، فقال له الفتح: أما علمت أنه من طالب السلطان احتاج إلى ثلاث خلال؟ قال: وما هنّ، أعزّ الله الأمير؟ قال: عقل وصبر ومال، فقال أبو العيناء: لو كان لي عقل لعقلت عن الله (تعالى) أمره ونهيه، ولو كان لي صبر لصبرت منتظرا رزقي أن يأتيني، ولو كان لي مال لاستغنيت به عن تأميل الأمير والوقوف ببابه**"(١).

قوله: "أعز الله الأمير" جملة دعائية فيها تأدب وتلطف، وفي قول الأمير: "عقل وصبر ومال" إيجاز بحذف المسند إليه، والتقدير: (هن عقل وصبر ومال)؛ اعتماداً على فهم السامع، ومن الملاحظ في جواب أبي العيناء الإكثار من التعبير بحرف: (لو)، وتكرار أبي العيناء لحرف (لو) –وهو حرف امتناع لامتناع– كأنه يلغي أن يكون لديه كل هذا، فلا عقل لديه ولا صبر ولا مال، وليس أبو العيناء ممن يتصاغرون ويظهرون المذلة كي يصف نفسه بمثل هذا غير أن المقام يستدعي ذلك؛ تواضعاً أمام المخاطب، ولذا فقد نفى أبو العيناء

(١) التذكرة الحمدونية ٤٦٢/١، محاضرات الأدباء ٢٤٢/١، نثر الدر في المحاضرات ١٤١/٣.

العقل عن نفسه حتى يتقبل المخاطب سؤاله ثم نفى الصبر حتى لا يمل المخاطب من تكرار سؤاله والإلحاح عليه ثم نفى المال؛ طلباً لعطف المخاطب ورغبة في عطائه، وهذه النادرة وإن كانت تتسم بالجد مراعاة للمقامات والأحوال إلا أنها لا تخلو من روح الفكاهة؛ حيث لا يمكن لعاقل أن ينفي عن نفسه (العقل) لكنها بلاغة أبي العيناء التي تبرز في كثير من مواقفه فنجده يطابق كلامه لمقتضى الحال محافظاً على فصاحة أساليبه.

الفصل الثاني

السمات الأسلوبية

تميزت نوادر أبي العيناء بعدد من السمات الأسلوبية، من أبرزها ما يلي:

أولاً: النادرة المسكتة

كثيراً ما يقال في عصرنا الحاضر: (فن الرد الذكي) وهذا تماماً هو الجواب المسكت ورشقات اللسان في أجوبة العرب البليغة، والذي يدفع المرء إلى الضحك في الجواب المسكت هو: تلك الدهشة المفاجئة التي تعتري المتلقي كسامع لها في حينها أو قاريء لها فيما بعد.

وقد ورد في البيان والتبيين ما يفيد أن (الجواب) يعد من البلاغة لما به من إصابة المعنى والإيجاز، ويفسر ابن المقفع البلاغة حين سئل عن ماهيتها، بقوله: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً.... فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هو البلاغة"(١).

وعن مدى أهمية النادرة ذات الجواب المسكت: يرى العقاد أن الأجوبة المسكتة في الأدب العربي: "لو ترجمت كلها إلى اللغات الأوربية لغطت فيها على شهرة الأجوبة اللاكونية المنسوبة إلى إسبرطة والمأثورة بين الأوربيين بالإيجاز والإفحام والمضاء، وتشبه هذه الأجوبة الأمثال والحكم والمشورات والنوادر التي يسوقونها بغير تعقيب ولا تفسير، ولكنها كبيرة المغزى عظيمة الإيحاء عند التأمل فيها والتدبر في أغراضها"(٢).

---

(١) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ١١٤ بتصرف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

(٢) من مقال: (إحياء الأدب العربي) للأستاذ: عباس محمود العقاد، مجلة الرسالة، العدد: ٢٧٨.

وحقاً إن النوادر – التي هي موضوعنا– كانت يوردها المصنفون كما قال العقاد دون أن يعقبوا عليها غالباً، وأحياناً يضعون لها عنواناً من مثل قولهم: "ومن الأجوبة المسكتة:" أو "جاء في الحجج البالغة والأجوبة الدامغة"(١) أو تحت عنوان: "في الجوابات المسكتة ولدغات اللسان"(٢).

وقد مدح النقاد والكتاب قديماً الجواب الحاضر، والسرعة في الرد "قال مسلمة بن عبد الملك: ما أوتي العبد بعد الإيمان بالله شيئاً أحب إليَّ من جواب حاضر؛ لأن الجواب إذا كان بعد نظر وتفكر، لم يكن بشيء، ألم تسمع قوله (تعالى): ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ... ﴾إلى قوله: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]"(٣).

وقيل أيضاً في مدح هذه الأجوبة ومدح أصحابها: "هي أصعب الكلام كلّه مركباً، وأعزه مطلباً، وأغمضه مذهباً، وأضيقه مسلكاً؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة، واستعمال القريحة"(٤).

والأجوبة المسكتة لها سماتها المميزة، فقد قيل: "أحسن الجواب ما كان حاضراً مع إصابة المعنى وإيجاز اللّفظ وبلوغ الحجّة"(٥).

---

(١) التذكرة الحمدونية ١٨٥/٧.

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم (ت ٩٤٠هـ)، ١٩٦، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٣) محاضرات الأدباء ١٠٤/١.

(٤) العقد الفريد ٩٠/٤.

(٥) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ)، ٣٨٠، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ.

هذه هي خصائص الأجوبة المسكتة: الجواب الحاضر السريع، ووضوح القول باختيار الألفاظ الفصيحة المناسبة مع مراعاة المقامات والأحوال، والإيجاز غير المخل بالفصاحة، وبلوغ الحجة بإفحام المخاطب وإقناعه والتأثير فيه.

وقد تميزت نادرة أبي العيناء ببلاغة أجوبته المسكتة التي تحقق مقصدها من إفحام للمخاطب بحيث لا يستطيع أن ينطق ببنت شفه، ومن هذه النوادر:

"**قَالَ لَهُ بعض من ناظره: أبلعني ريقي؛ فَقَالَ: قد أبلعتك دجلة والفرات**"(١).

فقول أبي العيناء: "قد أبلعتك دجلة والفرات" يعد جواباً مسكتاً، وفي التعبير بقد والفعل الماضي –الذي يفيد التحقق والتيقن والثبوت– تأكيد على ثقة أبي العيناء بانتصاره على مناظره، ويبدو أن المتكلم قد بدا مهزوماً أمام سرعة ردود أبي العيناء، وهذه مقدرة بلاغية يبديها أبو العيناء فكأنه يلقم المتكلم حجراً، "قال أبو العيناء: قال لي المنصور: ما أحسن الجواب؟ فقلت: ما أسكت المبطل، وحيّر المحق"(٢)، فإذا كانت رغبة من ناظره أن يصبر عليه مدة بلعه لريقه، فإن أبا العيناء يظهر سيطرته في الحوار بأنه قد أبلعه دجلة والفرات.

ومن مسكت الجواب: "**قال علوي لأبي العيناء: أتبغضني وقد أمرت بالصلاة عليّ؟ تقول: (صلى الله على محمد وآله)، قال: إني أقول الطيبين الأخيار، فتخرج أنت**"(٣).

(١) نثر الدر في المحاضرات ١٣٤/٣.

(٢) أمالي المرتضى ٣٠١/١.

(٣) ربيع الأبرار ٨٦/٢، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات ٥، نثر الدر في المحاضرات ١٥٤/٢، ربيع الأبرار ٨٦/٢، التذكرة الحمدونية ٢٤٠/٧، روض الأخيار ٢٠٣.

خاطب العلوي أبا العيناء رغبة في إفحامه، منكراً عليه بغضه له، وحجته أنه يذكره في صلاته ضمن: (صلى الله على محمد وآله) إلا أن أبا العيناء يرد على مخاطبه رداً قاطعاً بقوله: "إني أقول الطيبين الأخيار، فتخرج أنت"، وهذا من الأجوبة المفحمة للمخاطب الدالة على بلاغة أبي العيناء، وفي جوابه تعريض بالمخاطب بمعنى أنه ليس من الطيبين الأخيار.

ومن الأجوبة المفحمة كذلك: "**قَالَ لَهُ السدري: أشتهي أَن أرى الشَّيْطَان. فَقَالَ: انْظُر فِي الْمرْآة**"(١).

إنه ليس جواباً هزلياً إنه جواب دامغ مفحم أدى الغرض وأجاد قائله الرد على المخاطب الذي يشتهي شيئاً لا يشتهيه عاقل وهو رؤية الشيطان، فكان جزاؤه رداً مفحماً من أبي العيناء ناصحاً إياه بأسلوب مجازي لا على سبيل الحقيقة قائلاً: "انظر في المرآة" فالغرض من التعبير بالأسلوب الإنشائي هنا ذم المخاطب وتحقيره، يريد أبو العيناء أن يخبره أن صورته صورة شيطان، وهذا الرد البليغ والأسلوب المسكت مما لن يستطيع المخاطب رده حيث الإجابة غير متوقعة أبداً.

و"**قال رجل لأبي العيناء إن الله لم يأخذ من عبد كريمتيه إلا عوضه الله خيراً منهما فما الذي عوضك؟ قال: أن لا أرى ثقيلاً مثلك وأعتذر**"(٢).

(١) نثر الدر في المحاضرات ١٣٨/٣، أخبار الظراف ٩٣.

(٢) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (ت ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين، ٥٧٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

إن إجابته قائلاً: "أن لا أرى ثقيلاً منك وأعتذر" يقذفها في وجه هذا الفضولي الذي يسخر من عماه، إنه جواب بليغ من أبي العيناء يرد به على المتكلم وهو جواب مسكت حيث يلقمه به حجراً؛ لتدخله فيما لا يعنيه.

ومنه: "**لقيه بعض الْكتاب فِي السحر؛ فَقَالَ لَهُ مُتَعَجِّبا مِنْهُ وَمن بكوره: يَا أَبَا عبد الله، أَتُبَكِّرُ فِي مثل هَذَا الْوَقْت؟ فَقَالَ: أتشاركني فِي الْفِعْل، وتفردني فِي المتعجب؟**"(١).

في إحدى أوقات السحر لقيه أحد الكتاب الذي أبدى تعجبه من رؤية أبي العيناء في هذا الوقت، والصمت هنا مدعاة للهزيمة، وليس أبو العيناء ممن يهزمون في تطويع الألفاظ وفي فصاحة اللسان وطلاقته، لذا فهو يجيب على سؤال المتكلم بسؤال آخر قائلاً: "أتشاركني في الفعل، وتفردني في المتعجب؟" وهذا الأسلوب الإنشائي خرج من معناه الحقيقي للدلالة على غرض مجازي هو الإنكار التوبيخي، أي: ما كان ينبغي أن يكون من المخاطب ذلك، حيث ينكر على أبي العيناء تعجبه من خروجه في نفس الوقت الذي خرج فيه.

وقد يفحمه غيره بجوابه فيحسب لغيره الجواب المسكت، من ذلك:

"**قال أبو العيناء: ما قطعني أحد كما قطعني المهدي، فإنه قال: بلغني أنك تغتاب الناس، فقلت له: يبطل ما قيل في شغلي بعيبي، فقال: والله ذاك أشد لغيظك على أهل العافية، أعرف الناس بعوار الناس المعور**"(٢).

إن قوله: "ذاك أشد لغيظك على أهل العافية" يقطع المتوكل بهذا القول على أبي العيناء حجته، ويسكته، وقد عودنا أبو العيناء بلاغة وذكاء ومهارة خاصة في إفحام المخاطب، وهنا يقر بأن المخاطب قد أصابه بلدغة من لدغات

(١) نثر الدر في المحاضرات ١٤٢/٣، الصناعتين ١٩، نثر الدر في المحاضرات ١٤٢/٣، نكت الهميان ٢٥٥، التذكرة الحمدونية ١٨٥/٧.

(٢) محاضرات الأدباء ٤٧٢/١.

الألسنة، وقد وردت هذه النادرة برواية أخرى باختلاف المرسل وفيها أن القائل هو (المتوكل) وليس (المهدي):

"**قال له المتوكل: لا تكثر الوقيعة في الناس، قال: إنَّ لي في بَصَرِي لَشُغْلَاً، قَال: ذاك أشدُّ لحنقك على أهل العافية**"(١).

وفي قوله: "قال[أبو العيناء]: إنَّ لي في بَصَرِي لَشُغْلَاً" يؤكد أبو العيناء للمخاطب بعدة مؤكدات انشغاله بغياب بصره عن اغتياب الناس، بتوكيد خطابه ب(إنَّ) و(اللام)، وربما كانت الإضافة التي وجدتها في (محاضرات الأدباء) "أعرف الناس بعوار الناس المعور"(٢) من المصنف ذاته معلقاً، وهي إضافة تضفي جمالاً على التعبير، حيث وردت بأسلوب التفضيل (أعرف الناس)، وفيها إفحام للمخاطب إن كانت من المرسل، وتبصير للمتلقي إن كانت من المصنف.

وفي قوله: "إنَّ لي في بصري لشغلاً" حذف للمسند؛ بسبب ضيق المقام عن إطالة الكلام، فأبو العيناء في موقف دفاع عن نفسه، والتقدير: لشغلاً عن الوقيعة فيهم.

ويؤخر المسند إليه في قوله: "أعرف الناس بعوار الناس المعور" مراعاة للمقام الذي يقتضي تقديم المسند.

و"**قَالَ لَهُ بَعضهم: إنِّي لَا أرتضي نيتك. فَقَالَ: أجل؛ لِأَنِّي أعتقد الْإِسْلَام**"(٣).

من الملاحظ أن أبا العيناء في أجوبته الدامغة ورشقات ألفاظه يجيب على مخاطبه بما لايقل عن إمكانيات المخاطب في بلاغة الأسلوب، فكلاهما قد أكد خطابه ب(إنّ): "إني لا أرتضي نيتك"، وقول أبي العيناء: "أجل؛ لأنّي أعتقد

(١) جمع الجواهر ١٠٧، زهر الآداب ٣٢٣/١.

(٢) محاضرات الأدباء ٤٧٢/١.

(٣) نثر الدر في المحاضرات ١٣٥/٣.

الإسلام" معللاً باللام ومؤكداً بإن، هذا جواب مسكت، وهو تعريض بكفر السامع فإذا كان أبو العيناء يعتقد الإسلام بينما المتكلم لا يرتضي نيته فهذا تعريض بدينه وبمخالفته لاعتقاد أبي العيناء الذي صرح به وهو الإسلام.

ومنها: "سئل أبو العيناء عن حماد بن زيدٍ بن درهم، وحمّاد بن سلمة بن دينار، فقال: بينهما في القدر ما بين أبويهما في الصرف"(١).

قوله: "بينهما في القدر ما بين أبويهما في الصرف" جواب لاذع مسكت حيث يعلم السائل أن الأول يساوي درهماً، والثاني يساوي ديناراً، وهذا تحقير للمسؤول عنهما.

تعقيب: إن هذه النوادر البديعة تميزت بالإيجاز حيث اللفظ قليل ودلالاته واسعة، وتلك الروعة في التعبير أضفت على نوادر أبي العيناء جمالاً لغوياً وبلاغياً، فالبلاغة: الإيجاز، ويبدو من خلال هذه الأجوبة أن أبا العيناء يقدر كلمته فلا يخرجها من فمه إلا كلمة بليغة فإن كان في موقف يستدعي إفحام المخاطب كانت كلمته المدهشة المسكتة التي يعجز المخاطب عن صدها من هول الصدمة فيبتلع لسانه مندهشاً صامتاً.

ثانياً: النادرة المسكتة الحجاجية

قد تكون النادرة المسكتة حجاجية، وهي حين تكون حجاجية فإن بلاغتها تنتج عن شيئين هما: إفحام المخاطب وآليات الحجاج البلاغية، إذ لا يمكن أن يكون الحجاج بمنأى عن البلاغة، فللحجاج آلياته البلاغية التي لها الأثر في إقناع المتلقي، وتتنوع أساليب الحجاج في النوادر حسب غايات المتندر ومقاصده، ولنادرة أبي العيناء أساليب حجاجية مميزة.

(١) أخبار الظراف ٩٣.

تعريف الحجاج :

في لسان العرب: "الحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل، والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجاً: نازعه الحجة، وحجه يحجه حجاً: غلبه على حجته"(١).

والحجاج في البلاغة العربية هو ما عناه البلاغيون قديماً بالمذهب الكلامي، وعرفه ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) بأنه: "إيراد حجة على المطلوب على طريقة أهل المنطق، وهي أن تكون المقدمات مستلزمة للمطلوب.... وابن المعتز يذكر أنه ليس في القرآن منه شيء، وأنه ينسب للتكلف"(٢).

وعده ابن المعتز من البديع: "والبديع عند ابن المعتز خمسة أنواع: الاستعارة، التجنيس، المطابقة، رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، المذهب الكلامي"(٣).

"وردت كلمة (حجج) واشتقاقاتها في طائفة من أحاديث الرسول الكريم، ومنها عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "احتجت الجنة والنار"(٤).

---

(١) لسان العرب مادة: (حجج) ٢٢٨/٢.

(٢) البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت ٢٩٦هـ)، ٣١، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(٣) البديع في البديع ٦٢.

(٤) الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري، محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي، أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، ٥١/٨، رقم (٢٨٤٦)، الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤ هـ.

الحجاج البلاغي: هو الحجاج الذي يتخذ آليته المتكيء عليها من الفنون والألوان البلاغية وجمالية الصور ودقة التعابير وفصاحة الأساليب؛ لما للبلاغة من قدرة على التأثير في المتلقي وإقناعه.

وليس المقصد من نوادره المسكتة الحجاجية التأثير في المتلقي فقط بل إقناعه، ولهذا النوع من النوادر أساليب يلجأ إليها المرسل بغرض التأثير في المخاطب، منها:

(١) أسلوب الاستفهام:

"قال عبيد الله بن سليمان لأبي العيناء: اعذرني فإني مشغول، قال: إذا فرغت لم أحتج إليك، وما أصنع بك فارغاً، وأنشد: [الطويل]

وَلَا تَعْتَذِر بِالشُّغْلِ عَنّا فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْآمالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ"[(١)]

الاستفهام في قوله: "وما أصنع بك فارغاً" ويعد الاستفهام من الأساليب الحجاجية لنادرة أبي العيناء، ونداؤه بـ "يا سيدي" تعظيم للمخاطب، وتخفيف من وقع حدة جرأته في التعبير، وفي (زهر الآداب) جملة: "يا سيدي قد عذرتك، فإنه لا يصلح لشكرك من لا يصلح لعذرك"[(٢)]، فهو يعذره ويشكره معاً.

---

(١) البصائر والذخائر ١٣٣/٥، الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، [ينسب لـ]عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، المحقق: د إلهام عبد الوهاب المفتي، ٢٢٨، كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م، نثر الدر في المحاضرات١٣٦/٣، نكت الهميان ٢٥٤، أمالي المرتضى ٣٠٣/١، ربيع الأبرار ٤٦٣/٣، روض الأخيار ٣٥٤، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات ٢٤.

(٢) زهر الآداب ٣٢٨/١، نثر الدر في المحاضرات تحت عنوان: (نَوَادِر أبي العيناء ومخاطباته) ١٣١/٣، روض الأخيار ١٩٦، البصائر والذخائر ٢٥/٧، أمالي المرتضى ٣٠٠/١، ربيع الأبرار ٥٧/٢.

و"**قال له المتوكل يوماً: هل رأيت طالبياً؟ حسن الوجه، قال: نعم رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة واحداً. قال: تجده كان مؤاجراً، وكنت أنت تقود عليه، فقال: يا أمير المؤمنين أو بلغ هذا من فراغي، أدع موالي مع كثرتهم وأقود على الغرباء، فقال المتوكل للفتح: أردت أن أشتفي منهم، فاشتفى مني لهم**"(١).

قوله: "أو بلغ" اجتمعت همزة الاستفهام وحرف العطف (الواو) ومثل هذا ورد في القرآن الكريم:﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وفي رواية أخرى يجد القارىء ما يفيد محاولة أبي العيناء الهروب من الرد على المتوكل بقوله: "قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أحداً يسأل أعمى عن هذا؟!"(٢)، وفيها أيضاً ما يفيد إصرار المتوكل على مضايقة أبي العيناء والتشفي منه بالفعل إذ رد على كلامه السابق قائلاً: "لم تكن ضريراً فيما سلف وإنما سألتك عما تقدم"(٣) مما اضطر أبو العيناء لمتابعة الحوار ذاته إذ لم يستطع الإفلات مع علمه بنية المتكلم، فقال: "نعم رأيت بغداد منذ ثلاثين سنة حتى نهاية الخبر ...".

ولما سبه المتوكل بقوله: "تجده كان مؤاجراً وكنت أنت تقود عليه" أسعفت أبو العيناء جودة قريحته وحضور بديهته فاستخدم الحجاج قائلاً: "أو بلغ هذا من فراغي أدع موالي مع كثرتهم وأقود على الغرباء؟" فهذه حجة اتكأت على أسلوب الاستفهام الإنكاري أي: لا ينبغي أن يكون ذلك، وكلماتها منتقاة استطاع أبو العيناء أن يصد بها هجوم المتوكل، والحجة هنا ظاهرها احترام مواليه وباطنها رد الإساءة للمخاطب، ليأتي جواب المتوكل: "أردت أن أشتفي منهم

(١) نكت الهميان ٢٥٣، نثر الدر في المحاضرات ١٣١/٣، التذكرة الحمدونية٢٣٧/٧.
(٢) جمع الجواهر ١٠٧.
(٣) جمع الجواهر ١٠٧.

فاشتفي مني لهم"؛ ليؤكد نجاح هذه الحجة وتحقُّق الهدف الذي أراده بها أبو العيناء من رد الإهانة دون تصريح.

(٢)أسلوب التوكيد:

"**قال أبو العيناء لأعرابي: إن الله محاسبك، فقال الأعرابي: سررتني؛ إن الكريم إذا حاسب تفضل**"(١).

فإنه يقول: (سررتني)، وربما دلت هذه الكلمة على عدم خشيته من الله (تعالى)، لذا فهو يحتج بوسيلة إقناعية هي التوكيد بـ "إنَّ"، واستخدام (إذا) يؤكد إيمانه بالحساب فلم يقل (إنْ) التي تفيد الشك، وهذا مما يظهر فصاحة الأعرابي.

(٣) أسلوب التضمين:

"**وعد أبو الصقر أبا العيناء بشيء فتقاضاه فقال: غداً، فقال له: إنَّ الدهر كله غد، فهل عندك وعد يخلو من المعاريض؟ فقال رجل حاضر قد استعمل المعاريض قوم صالحون حدثنا فلان عن فلان، فقال أبو العيناء: من هذا الذي يحدث في حرماننا بالأسانيد؟ قال ابن الرومي**(٢):

أُرَفَّهُ ما أُرَفَّهُ فِي التَّقَاضِي وَلَيْسَ لَدَيْكَ غَيْرُ الْمَطْلِ نَقْدُ

إذا إِنْجازُ وَعْدَكَ كَانَ وَعْداً فَيَكْفِينِي مِن الْوَعْدَيْنِ وَعْدُ"(٣)

هذه نادرة مسكتة وحجاجية في آن واحد، وفيها يلجأ إلى الموروث الأدبي، والتضمين فيه آثار إقناعية، وقد لجأ إليه أبو العيناء كأسلوب حجاجي يعبر عن مقاصده بعد أن رد كلامه رجل حاضر في مجلسه مع أبي الصقر حيث لام أبو العيناء أبا الصقر؛ لمماطلته، وقال له معاتباً: "إن الدهر كله غد، فهل عندك

(١) حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات٦٥، نثر الدر في المحاضرات ٣٨/٦.

(٢) ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تحقيق الدكتور حسين نصار، ٦٦٠/٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

(٣) محاضرات الأدباء٦٥٠/١، نثر الدر في المحاضرات ١٤٢/٣.

وعد يخلو من المعاريض؟" فحاول أحد الحضور تبرئة أبي الصقر والدفاع عنه، الأمر الذي جعل أبو العيناء يستلهم من التراث العربي ما يتفق مع حالته الشعورية والنفسية.

(٤)أسلوب الشاهد:

ويقصد به الاقتباس القرآني، حيث يكون الحجاج بالأدلة، والحجاج بالشاهد يلجأ فيه أبو العيناء إلى الشاهد القرآني متخذاً منه مأمناً ومخرجاً من موقف ما.

"**قيل له: لا تعجل فإنّ العجلة من عمل الشيطان. فقال: لو كانت من عمل الشيطان لما قال موسى (عليه السلام):﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٤]**"[(١)].

وهناك من الخُطوبِ ما تُمدح فيه العجلةُ"[(٢)]، اقتبس أبو العيناء من القرآن الكريم شاهداً يحتج به على خطأ الناهين له عن العجلة، وقد حذف المسند إليه في قوله: "لو كانت من عمل الشيطان"، وتقديره: (لو كانت العجلة من عمل الشيطان)؛ اعتماداً على فهم السامع، يقول أبو هلال العسكري: "ولا أعرف أحدا مدح العجلة إلا أبا العيناء [ثم ذكر النادرة التي معنا]، وهو اللسان يضعه البليغ حيث يريد[(٣)]، وهذا التعليق لأبي هلال العسكري بقوله: "وهو اللسان يضعه البليغ حيث يريد" وصف لبلاغة أبي العيناء، وبيان لكون اللغة سلسة جارية على لسانه مطواعة بألفاظها ومدلولاتها.

وورد عن العرب ما جاء في ذم التأني: "تقبيح التأني، أَنَ يُقَال: إِيَّاكُمْ والتأني فِي الْأُمُور، فَإِن الفرص تمر مرّ السَّحَاب، والآفات فِي التأخيرات. وَكَانَ

(١) الصناعتين ١٩.

(٢) الذخائر ٢/٩٠.

(٣) جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، ١/٢٦، ٢٧، دار الفكر، بيروت.

ابْن عَائِشَة الْقرشِي يَقُول: الْفلك أبعد من أَن يحْتَمل مَعَه التأني والتثبت، وَخير الْخَيْر أعجله"(١).

(٥)أسلوب التكرار:

"**قال المتوكل لأبي العيناء: كيف شربك للنبيذ؟ قال: أعجز عن قليله، وأفتضح عند كثيره. فقال: دع هذا عنك ونادمنا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أجهل الناس من جهل نفسه، ومهما جهلت من الأمر فلن أجهل نفسي، أنا امرؤ محجوب، والمحجوب تختلف إشارته ويجوز قصده، ولا ينظر إلى من ينظر إليه، وكلّ من في مجلسك يخدمك، وأنا أحتاج أن أخدم.**

وأخرى: فلست آمن أن تنظر إليّ بعين غضبان وقلبك راض، وبعين راض وقلبك غضبان، ومتى لم أميّز بين هاتين هلكت؛ ولم أقل هذا جهلا بما لي في المجلس من الفائدة، فأختار العافية على التعرّض للبليّة"(٢).

جاء في جمع الجواهر: "وإنما هذا تولع منه بلسانه؛ واقتدار على الكلام، وإلا فقد تعافى من ذلك المقام"(٣).

هذه نادرة حجاجية تتضح فيها آليات الحجاج، أثار طلب المتوكل منادمة أبي العيناء في نفسه توتراً ما فأقبل يحاوره وتكررت على لسانه بعض الكلمات ومشتقاتها: (أجهل، جاهل، جهلته، جهلاً، أنا، محجوب، ينظر، يخدمك، أخدم)، والتكرار أسلوب حجاجي يقصد به إقناع المخاطب، وهذا يؤكد عدم رغبته بداية في المنادمة، وفي هذه النادرة محسن بديعي يثري المعنى ويضفي عليها جمالاً هو العكس والتبديل في قوله: "بعين غضبان وقلبك راض، وبعين راض وقلبك غضبان" حيث قدم في الكلام وأخر مما أحدث أثراً موسيقياً تطرب له الأذن.

---

(١) تحسين القبيح ٥٧.

(٢) التذكرة الحمدونية ٣٧٤/٨، نثر الدر في المحاضرات ١٥٢/٣، أمالي المرتضى ٣٠١/١.

(٣) جمع الجواهر ٦٠.

ويبرر كلامه بعدم جهله لقيمة المجلس الذي يدعوه إليه لكنه يخشى أن يصيبه ما يكره، وليس المطلوب مجالسة الصحاب والخلان إنما منادمة الخليفة والجلوس في مجلسه، فكان التكرار وسيلة حجاجية أبدى من خلالها رغبته في رفض هذه المنادمة، وكان ملخص حديثه أن يقول: (لا) لكن ما يتبع قول (لا) من عقاب أمور غير متوقعة فكان الحجاج وسيلته لإقناع المخاطب بتركه وشأنه؛ لأنه ليس أهلا لما يدعوه إليه، غير أن الحجاج هنا لم يحقق لأبي العيناء مبتغاه فقد جاء في روايات أخرى أن المتوكل قال لأبي العيناء: "صدقت، ولكن تلزمنا" فما كان من أبي العيناء إلا إظهار السمع والطاعة مباشرة، فأجابه قائلاً: "لزوم الفرد الواجب اللازم، فوصلني بعشره آلاف درهم"(١).

ثالثاً: بناء النادرة على لفظ من كلام المخاطب

أكثر أبو العيناء من بناء بعض نوادره على قول المتكلم، وقد تأملت النوادر التي انصبت عناية أبي العيناء فيها على لفظ المخاطب ومدلوله، وتوهمتُ في باديء الأمر أن عناية أبي العيناء بألفاظ المتكلم وبناء نادرته على لفظ منها، ربما تندرج تحت باب (المشاكلة) إلا أن ما فعله أبو العيناء لا يتفق مع المشاكلة؛ لأن اللفظ الثاني من اللفظين المتشاكلين يختلف مدلوله عن اللفظ الأول، والذي سوغ ذكر المعنى بلفظ غيره هو وقوعه في صحبة المعنى الآخر الدال عليه بلفظه الحقيقي، إذاً فلم يكن بناء أبي العيناء نادرته على هذا النحو من باب المشاكلة، وقد يتوهم آخر أنها من قبيل (القول بالموجب) وهو بديع معنوي، وهو مردود أيضاً؛ لأن القول بالموجب عرفه ابن أبي الإصبع بقوله: "يعمد المخاطِب إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم، وذلك عين القول بالموجب؛ لأن حقيقته رد الخصم

(١) زهر الآداب ١/ ٣٢٣.

كلام خصمه من فحوى لفظه"[١]، والحال أن أبا العيناء لا تفيد نوادره التالية – التي عمد فيها إلى ألفاظ المتكلم – عكس المدلول الذي قصده المتكلم، فليست كذلك من قبيل القول بالموجب.

وتظهر بلاغة العناية بألفاظ المخاطب في كثير من نوادر أبي العيناء ما جعل هذا خاصية من خصائص أسلوبه وسمة من سماته المميزة لكثير من نوادره، وأرى أن العناية بألفاظ المخاطب تتجلى بلاغتها في دقة اختيار الألفاظ، وهذا من شأنه إحداث نوع من التواصل اللفظي الجيد بين المرسل (المتكلم أو المخاطب) والمتلقي (أبو العيناء)، والحرص على الإصغاء كما أن له أثر في إحداث موسيقى داخلية في النص.

ومن هذه النوادر:

"**قال عبيد الله بن يحيى لأبي العيناء: كيف الحال؟ قال: أنت الحال، فانظر كيف أنت لنا، فأحسن صلته**"[٢].

كان مقتضى الظاهر أن يقول أبو العيناء: (أنا بخير) أو (لست بخير) لكنه عدل عن ذلك وبدلاً من إجابته عن حاله من خير أو شر جعل المخاطب هو الحال ذاته آخذاً من كلام المخاطب لفظ (الحال)، مجيباً إياه بقوله: "أنت الحال"، ومشبهاً إياه تشبيهاً بليغاً بالحال، وفي روايات أخرى: "فإذا صلحتَ صلحتْ" بمعنى: فإذا صلُح المخاطَب صلحت أي: الحال، ومن البلاغة الحذف،

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، ٥٩٩، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

(٢) ربيع الأبرار ٥٨/٢، نثر الدر في المحاضرات ١٤٣/٣، ديوان المعاني ٢٢١/٢، البصائر والذخائر ١٤٠/٧، التذكرة الحمدونية ١٩٣/٧ ، المستطرف ٧٠.

فالحذف إيجاز، والفاعل معلوم للمخاطب بدلالة القرائن عليه، فلا داعي لذكره. وذكر المسند إليه: (أنت)؛ لزيادة الإيضاح والتقرير، فالمخاطب هو المعول عليه وإليه يرجع صلاح الحال وعدمه، وأبو العيناء يبدي هنا عناية كبيرة بألفاظ المتكلم، ويرسل إشارة نفسية موجزة من شأنها تنشيط ذهن المتكلم للنظر في الحال التي ينبغي أن يكون عليها.

ومنها: "**وعده ابن المدبر بدابة، فلما طالبه قال: أخاف أن أحملك عليها فتقطعني ولا أراك، فقال: عدني أن تضم إليها حماراً؛ لأواظب مقتضياً، ووعده يوماً أن يعطيه بغلاً، فلقيه في الطريق، فقال له: كيف أصبحت يا أبا العيناء. فقال: أصبحت بلا بغل، فضحك منه وبعث به إليه**"(١).

يسأله المخاطب عن حاله، ولما كان المخاطب قد ماطل ولم يقض حاجته، فقد عمد أبو العيناء إلى قول المخاطب واقتبس منه لفظاً بنى عليه نادرته هو لفظ (أصبحتُ)، وهذا يحدث أثراً موسيقياً داخلياً في النص، كما أن هذا من شأنه أن يحدث نوعاً من التواصل الجيد بين المرسل والمتلقي حتى إنه لما أجاب: (أصبحتُ بلا بغل) أثار جوابه ضحك المخاطب مما جعله يبعث إليه بمطلبه، وهذه براعة وجمالية تعبير سببها الدقة في اختيار اللفظ.

ومنها: "**قالت قينة لأبي العيناء هب لي خاتمك أذكرك به، قال: اذكريني بالمنع**"(٢).

في هذه النادرة تسأله قينة أن يمنحها خاتمه ليكون بمثابة ذكرى تستحضره به في ذهنها كلما مرت الأوقات، وقد استطاع أبو العيناء بأسلوبه البلاغي المعبر بكلام موجز خال من الحشو والإطناب أن يتواصل مع المخاطبَة لفظياً

(١) نكت الهميان ٢٥٣.

(٢) التذكرة الحمدونية ٣٧٢/٢، نثر الدر ١٣٣/٣.

ونفسياً وعقلياً، أما من ناحية التواصل اللفظي فقد عمد إلى نفس لفظها (أذكُرُكَ) مشتقاً منه لفظ (اذكريني)، ومن جهة التواصل النفسي والعقلي: فإنه لما قال: (اذكريني) ربما ارتاحت نفسها إلى تلبية مطلبها في انتظار أن يعطيها أبو العيناء خاتمه تذكاراً إلا أن الصدمة الفجائية تأتي حين يستكمل كلامه قائلاً: (بالمنع)، ليكون (المنع) هو ما يريدها أن تذكره به، وهذا بخل وتقتير منه، وقد وردت هذه النادرة تحت عنوان: "نوادر في البخل والجود واللؤم"[(١)]، والبخل هنا غير مصرح به فلم يرفض أبو العيناء صراحة إعطاءها الخاتم –وهي التي لم ترد خاتمه إلا تذكاراً– إذ لم يقل نافياً: (لن أهبك خاتمي لتذكريني به بل اذكريني بالمنع)، فجاء هذا التواصل اللفظي في النادرة وهذا الاشتقاق من كلام المخاطبة ليحدث نغماً في السمع ويضفي حسناً على أسلوب أبي العيناء.

رابعاً: فنون بلاغية وألوان بديعية شكلت النادرة

إذا كانت نوادر أبي العيناء تشكلها سمة رئيسة هي الجواب الحاضر المسكت البليغ الإقناعي وأحياناً يكون الجواب المسكت حجاجياً، فإن لها من الفنون والألوان البلاغية ما شكل خاصية أسلوبية ظهرت قيمتها في بنية الخطاب النثري (النادرة) وساهمت في تحقق مقاصد المرسل وغاياته المرجوة من النادرة، ومنها:

(١) فنون المعاني :

(أ) **الحذف**، ظهرت بلاغة الحذف في تشكيل النادرة في كثير من نوادر أبي العيناء، ومن ذلك:

(١) التذكرة الحمدونية ٣٧٢/٢.

"**قال أبو العيناء لابن مكرم: قم وصلّ فقال قد جمعت بينهما، فقال: نعم بالترك**"[١].

شكلَّ الحذف هذه النادرة المسكتة حيث حذف المسند في قوله: "نعم بالترك"، وتقديره: "جمعت بينهما بالترك"؛ لغرض: تعجيل الرد على المتكلم وإفحامه بجواب مسكت يعمل على إثارة الذهن، والفائدة البلاغية المستفادة من الحذف هنا: الإيجاز، حيث عبر أبو العيناء عن المعنى المطلوب بلفظ فصيح دون إطناب مخل، والإيجاز غرض عام في كل حذف، مع وجود القرينة الدالة عليه.

ومنه: "**قال أبو العيناء لابنه وهو مريض: أي شيء تشتهي؟ قال: اليتم**"[٢].

وفي قوله: "اليتم" حذف المسند؛ للاختصار بسبب ضيق المقام؛ فهو ما تستدعيه الحالة التي عليها الابن، فالمقام مقام إبداء الألم والتوجع بسبب المرض، وتقدير الكلام: "أشتهي اليتم"، والحذف هنا يُشعر بتشتت ذهن الابن أثناء جوابه؛ بسبب الحال التي هو عليها، فلا أحد يشتهي اليتم، بمعنى أن يموت أبوه، فربما مقصوده: "أشتهي الموت، إذ المريض قد بلغ مبلغاً عصيباً جعله يشتهي موته، ولما لم يعِ ما يقول، أجاب: (اليتم).

(ب) الأسلوب الحكيم

وفي التعريفات للجرجاني: "أسلوب الحكيم: هو عبارة عن ذكر الأهم تعريضاً للمتكلم على تركه الأهم"[٣]، فسماه: أسلوب الحكيم واصفاً المتكلم ذاته

---

(١) محاضرات الأدباء ٤٦٤/٢، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات٥٩، نثر الدر في المحاضرات ١٣٥/٣، نكت الهميان ٢٥٤.

(٢) جمع الجواهر ١٠٦.

(٣) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ٢٣، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

بالحكمة، وهو أسلوب بلاغي ورد في القرآن الكريم، وتعددت أسماؤه عند البلاغيين، سماه الجاحظ: "اللغز في الجواب"(١)، يقول الخطيب القزويني: "وسماه الشيخ عبد القاهر مغالطة"(٢)، وعده الخطيب القزويني "من خلاف المقتضى"(٣) أي: من خلاف مقتضى الظاهر، وذكره بعد مباحث أحوال المسند إليه، وذكر أن السكاكي سماه: (الأسلوب الحكيم) بوصف الأسلوب نفسه بالحكيم وليس القائل كما عده السكاكي من مباحث علم المعاني، يقول: "وليكن هذا آخر كلامنا الآن في علم المعاني منتقلين عنه على علم البيان بتوفيق الله تعالى وعونه"(٤).

وهو: "تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزله غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له"(٥).

أثر الأسلوب الحكيم في المتلقي وغاياته المثمرة:

يقول السكاكي: "هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور"(٦).

ومما جاء بأسلوب الحكيم نوادر استعمل فيها الأدب والحكمة لكونها سياسية موجهة لحاكم لغرض المدح، وهي نوادر استعمل فيها الأدب والحكمة؛ لكونها سياسية فيها تواصل مع أحد الحكام، والغرض مدحهم تقرباً إليهم، **مثل:**

---

(١) البيان والتبيين ١٠١/٢.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ٩٥/٢.

(٣) المصدر السابق ٩٤/٢.

(٤) مفتاح العلوم. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ٣٢٨، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م، الإيضاح في علوم البلاغة ٩٤/٢.

(٥) المصدر السابق ٣٢٧.

(٦) المصدر السابق ٣٢٧.

"**قال بشار: [مخلع البسيط]**

قَالُوا الْعَمى مَنْظَرٌ قَبيحٌ قُلْنا بِفَقْدي لَكُم يَهــونُ

تَاللَهِ ما في البِلادِ شَيءٌ تَأَسى عَلى فَقدِهِ الْعُيونُ

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل: ما أشدّ ما عليك في ذهاب بصرك؟ قال: ما حرمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك"(١).

استطاع أبو العيناء أن يجيب المتوكل بحكمة وبأسلوب يزيده منه قرباً ويرفع قدره في عينيه، فإذا كان فاقد البصر يشعر بفقد رؤية الكثير من جمال الطبيعة ورؤية وجوه الأحباب فإن أبا العيناء يقصر فقده على حرمانه من رؤية جمال المتوكل مع إجماع الناس على جماله، فأي إجابة مستحسنة هذه؟ وهذا هو الأسلوب الحكيم حيث تلقى السائل بغير ما يتطلب.

إن هذا الخطاب الإنساني الذي يبدو عليه الفضول من جانب المتكلم استطاع أبو العيناء أن يحوله لصالحه وأن يرد على السائل بغير ما يتطلب بأسلوب نلمح فيه جانب الحكمة حيث حول السؤال إلى مدح؛ لأن هذا هو الأولى لمن كان في صفته وعلى حاله وهو المهم بالنسبة للمخاطب.

ومن أسلوب الحكيم الذي تبين منه الانتقال إلى المدح: "**دخل أبو العيناء يوماً على عبد الرحمن بن خاقان، وكان يوماً شاتياً، فقال له عبد الرحمن: كيف تجد هذا اليوم يا أبا عبد الله؟ قال: تأبى نعماك أن أجده**"(٢).

(١) شرح مقامات الحريري٢٠٧/١، أمالي المرتضى ٣٠١/١، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات٧.

(٢) البصائر والذخائر ٧٨/١، نثر الدر في المحاضرات ١٤١/٣، ربيع الأبرار ١٣٥/١، التذكرة الحمدونية٣٩٧/٢.

يجيب أبو العيناء سائله بقوله: "تأبى نعماك أن أجده" وهذا الجواب من أبي العيناء فيه تأدب مع مراعاة المقام، حتى إن أبا العيناء لكثرة عطايا المخاطب يقول: إنه لا يلتفت للخير الذي يؤذن به يوم شات، وبهذا يتبين أن أبا العيناء قد رد على السائل بما هو الأولى والمهم بالنسبة له وهو المدح والثناء، فإجابة أبي العيناء كناية عن جود المخاطب لدرجة أنه من كثرة عطاياه لا يهتم أبو العيناء لأي نعيم آخر يراه.

(٢) الصور البيانية:

(أ) الكناية

من أهم الصور البيانية التي شكلت سمة مميزة للنادرة: الكناية والتعريض، فمن **الكناية: "قال رجلٌ لأبي العيناء وقد كبر وضعف: كيف أصبحت؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم"**(١).

هذه نادرة فيها طرف من الحكمة، وقوله: "في الداء الذي يتمناه الناس" كناية عن موصوف وهو: الهرم، وآثر أبو العيناء التعبير بالكناية وترك التصريح؛ بقصد الإيجاز.

وهذه نادرة تكرر كثيراً ورودها عن أبي العيناء ولم يذكر من الذي سأله هذا السؤال، وذكر صاحب كتاب (مجمع الأمثال) اسم السائل، بقوله: "قَالَ ابن مَيَّدة لأبى العَيْناء..."(٢).

ومنها: **"كان أبو العيناء في جملة أبي الصقر، وكان يعادي ابن ثوابة لمعاداته لأبي الصقر، فاجتمعا في مجلس صاعد، فتلاحيا، فقال له ابن ثوابة:**

(١) ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، ٢/٢٢٦، دار الجيل، بيروت، جمع الجواهر ١٠٧، ٢/ ٣٥٨ محاضرات الأدباء، ٤/٩٧١ زهر الآداب، روض الأخيار٤١٦.

(٢) مجمع الأمثال ٢/٤٥٦.

أما تعرفني؟ فقال له أبو العيناء: بلى والله، أعرفك ضيّق العطن[1]، كثير الوسن[2]، قليل الفطن[3]، خارّا على الذقن، قد بلغني تعدّيك على أبي الصقر، وإنما حلم عنك لأنه لم يجد عزّاً فيذله، ولا علوّاً فيضعه، ولا مجداً فيهدمه، فعاف لحمك أن يأكله، وسهك دمك أن يسفكه. فقال له: اسكت، فما تسابّ اثنان إلا غلب ألأمهما، فقال له أبو العيناء: فلهذا غلبت أبا الصقر بالأمس"[4].

التقي أبو العيناء وابن ثوابة في مجلس صاعد، وكان بينهما عداوة سببها معاداة ابن ثوابة لأبي الصقر بخلاف أبي العيناء فقد كان في جانبه، جمعهما الحوار في هذا المجلس فتنازعوا وتسابوا، فلم يقبل ابن ثوابة هذا على نفسه فسأل أبو العيناء منكراً عليه تطاوله: "**أما تعرفني؟**" وهذا الاستفهام دلالته المجازية هي إنكار تطاول المخاطب وتوبيخه، أي ما كان ينبغي أن تتطاول عليّ وأنا من أنا، وقد وردت هذه النادرة في (محاضرات الأدباء) موجزة، تحت عنوان "المشهور بالشؤم"، تقول: "قال ابن ثوابة لأبي العيناء أما تعرفني؟ فقال: أعرفك ضيق

---

(١) ضيق العطن: "ورجل رحب العطن وواسع العطن أي رحب الذراع كثير المال واسع الرحل"، و"هو ضيق الخلق وواسع الخلق، أبو العباس في مثله: إنه لواسع العطن وضيق العطن"، لسان العرب: لسان العرب، مادة: (عطن)، ٢٨٧/١٣ ومادة: (حبل)، ١١/ ١٣٨

(٢) (الوسن): "الحَاجة يُقَال: مَا هُوَ من همي وَلَا من وسنى (ج) أوسان". المعجم الوسيط ١٠٣٣/٢.

(٣) فطن: "الفِطْنَةُ كالفهم. تقول: فَطَنْتُ للشئ بالفتح، ورجل فطن وفطن، وقد فَطِنَ بالكسر فِطْنَةً وفَطانَةً وفطانية، والمفاطنة: مفاعلة منه". الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ٢١٧٧/٦.

(٤) التذكرة الحمدونية ١٨٦/٧.

العطن، لئيم الوطن، نؤوما على الذقن"(١)، فجاء الجواب اللاذع من أبي العيناء: "بلى والله، أعرفك ضيّق العطن، كثير الوسن، قليل الفطن، خارّا على الذقن" وهذا جواب بليغ أبدى به أبو العيناء قدرته على إفحام المخاطب باستخدام الأسلوب الكنائي، فقوله: "**ضيق العطن**" كناية عن صفة هي كون ابن ثوابة غير مقتدر قليل المال، ضعيف لا حيلة ولا صبر لديه عند المصائب والشدائد، ضيق الخُلُق، ثم زاد في سبه بأن جعله كثير الحاجات، قليل الفهم، عديم الفطنة والنباهة، لا يتنبه للأمور، وقوله: "**خارّاً على الذقن**" كناية عن صفة أخرى مبالغة في سبه وتصغير شأنه، وهي التذلل، وتظهر بلاغة هذه الكنايات التي صدرت عن أبي العيناء في الإيجاز والمبالغة في تصغير شأن ابن ثوابة، والحط من هيبته.

كان هذا النزاع والسباب بسبب معاداة ابن ثوابة لأبي الصقر، فقيل لأبي العيناء: "اسكت"؛ وذلك لما يتضح من مبالغته في السب، وما استطاع ابن ثوابة أن يرد إساءة أبي العيناء إلا باستخدام أسلوب القصر واصفاً إياه باللؤم، بقوله: "**فما تسابّ اثنان إلا غلب ألأمهما**"، وهذا جواب موجز بليغ مسكت إلا أن أبا العيناء لا يسكته جواب، ولا يخرج إلا منتصراً، لذا رد هذه الإساءة الخفيفة – أعني وصفه باللؤم مقارنة بكل الشتائم التي قذفها في وجه ابن ثوابة– قائلاً لابن ثوابة: "**فلهذا غلبت أبا الصقر بالأمس**" فأضاف إلى كل قذائفه اللفظية السابقة قذيفة أخرى هي لؤم ابن ثوابة؛ لانتصاره في موقف سابق على أبي الصقر(٢)،

(١) محاضرات الأدباء ٣٨٨/١ تحت عنوان "المشهور بالشؤم".

(٢) وقصة انتصار ابن ثوابة على أبي الصقر هي: "قال رشيق الخادم كنا في مجلس صاعد فسأل عن رجل فقال أبو الصقر أنفي يريد نفي فقال ابن ثوابة في الخراء فسمعها فقال أبو الصقر كيف نكلم من حقه أن يشد ويحد فقال ابن ثوابة وهذا أيضا من جهلك إن من يحد لا يشد ومن يشد لا يحد ثم ضرب الدهر ضربانه فرأيت ابن ثوابة قد دخل إلى أبي =

يقول الصفدي صاحب (الوافي بالوفيات) بعد أن ذكر هذه النادرة: "فأسكته"[١]، ولا شك أن أبا العيناء قد أفحم ابن ثوابة ببلاغته وبديهته الحاضرة.

ومنها: "قدم إِلَيْهِ ابْن مكرم جنب[٢] شواءٍ. قَالَ: لَيْسَ هَذَا جنباً، هَذَا شريحة قصب"[٣].

من المعلوم أن الخلافات كانت تحدث كثيراً بين ابن مكرم وأبي العيناء لكنها كانت خلافات عابرة لا تفسد للود بينهما قضية- كما يقال- وهذه إحدى النوادر التي صدرت عن اجتماعهما على وجبة شواء، ويبدو أن القطعة التي حظي بها أبو العيناء حين تلَمّسها لم ترق له فأحب التندر قائلاً: "لَيْسَ هَذَا جنباً، هَذَا شريحة قصب"، وقوله: "هذا شريحة قصب" كناية عن صغر حجم القطعة التي حصل عليها، والتعبير بالكناية هنا تقوية للمعنى المراد إيصاله من أن القطعة التي أمامه صغيرة، وتكرار اسم الإشارة (هذا) أفاد تأكيد المعنى في نفس المتلقي (ابن مكرم) وإثارة التوقعات في ذهنه، فهذا إن لم يكن جَنْب شاة مشوي، فما هو؟ وفي ذكر المسند إليه (هذا) في (هذا شريحة قصب) دلالة على رغبة

=

الصقر بواسط فوقف بين يديه ثم قال أيها الوزير لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين فقال له أبو الصقر لا تثريب عليكم يا أبا العباس". الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ٢٤١/٧، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(١) الوافي بالوفيات ٢٤١/٧.

(٢) و"الجَنْبُ والجَنَبةُ والجانِبُ: شِقُّ الإنْسانِ وَغَيْرِهِ" [يريد وغير الإنسان من شاة ونحوها]. لسان العرب، مادة: (جنب)، ٣٥٤/٢.

(٣) نثر الدر في المحاضرات١٤٦/٣.

أبـي العينـاء فـي بسـط الكـلام حفاظـاً علـى إنصـات المخاطـب، فالإصـغاء هنـا مطلوب، وهذه النادرة "من نوادر الظرفاء"(١).

(ب) التعريض

ليس شرطاً في التعريض أن يكون من قبيل الكناية، فـ"التعريض لا يلزم أن يكون نوعاً من الكناية بل هو أعم من ذلك إذ قد يكون كناية ومجازًا وحقيقة... وإذا أريد التعريض فلا كناية"(٢).

والتعريض ينتج عنه مدلول آخر يفهمه المتلقي من المعنى الأصلي الذي أطلقه المتكلم، يقول د. محمد عبد المنعم خفاجي: "وهو استعمال الكلام في معناه ملوحًا به إلى غيره ليفهم منه معنى آخر"(٣).

جاء في (الأعلام للزركلي) عن أبي العيناء وتعريضه أنه كان "خبيث اللسان في سبّ الناس والتعريض"(٤)، ومن نوادر أبي العيناء التي يفهم منها التعريض بلؤم من يغتابه ويذمه:

"**قال المتوكل لأبي العيناء: ما بقي في المجلس أحد إلا ذمك غيري، فقال: [الطويل]**

إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامَ عَشِيْرَتِي فَلا زَالَ غَضْبَانَاً عَلَيَّ لئامها"(٥)

(١) التذكرة الحمدونية ٤٠٨/٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ٧١/٢ حاشية رقم (١).

(٣) المصدر السابق ٣٩/٣ حاشية رقم: (٤).

(٤) الأعلام ٣٣٤/٦.

(٥) ربيع الأبرار ٣١٦/٢، الذخائر ١٨٩/٢، محاضرات الأدباء ٤٧١/١، أمالي المرتضى ٣٠٠/١، زهر الآداب ٣٢٧/١، المستطرف ٢٥٦، روض الأخيار ٢٣٦، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات٢٤، أمالي المرتضى ٣٠٠/١.

أبو العيناء هنا يخبر المتوكل ألا يلتفت لآراء الآخرين تجاهه فهو الكريم وغيره لئام، والمعنى الصريح لكلام أبي العيناء أن الكرام من عشيرته راضون عنه دوماً إلا أن لئام عشيرته يبقون في حالة غضب، وأبو العيناء أراد التعريض بلؤم من يغتابونه ويذمونه وهذه نادرة بالأسلوب الحكيم، فأبو العيناء في موضع دفاع عن النفس وقد أجاب بأسلوب حكيم فيه مدح للمخاطب وذم لغيره، إذ استطاع أن يأمن شك المخاطب، وأن يصون عقله عن التفكير في أسباب معاملة الناس له على هذا النحو.

ومنه: "**سَأَلَ أَحْمد بن صَالح حَاجَة فوعده، ثمَّ اقْتَضَاهُ إِيَّاهَا فَقَالَ: حَال دونهَا هَذَا الْمَطَر والوحل؛ فَقَالَ أَبُو العيناء: فحاجتي إذا صيفية**"(١).

إن ظاهر قول أبي العيناء: "فحاجتي إذاً صيفية" هو أنه سينتظر حاجته التي لم يستطع الحصول عليها في الشتاء إلى أن يأتي فصل الصيف، لكن يتوارى خلف هذا المعنى مدلول آخر يفهم من السياق والقرائن، فالمراد: التعريض برغبة المخاطب في المماطلة، والتعريض الذي شكل به أبو العيناء نادرته يعد أسلوباً بلاغياً قادراً على التأثير على المتلقي حين يخفي اللفظ الصريح معنى آخر مطوياً يلمح به المتكلم دون أن يخبر به صراحة تاركاً للمتلقي تفسيره بفطنته، وفي هذه النادرة وعى المتلقي مقصد المرسل(أبو العيناء)، إذ جاء عنه في رواية أخرى: "فضحك، وقضى حاجته"(٢).

ومنها: "**قَالَ ابن السكيت يوماً:.... وَقدم إِلَى مائدةٍ – عَلَيْهَا أَبُو هفان وَأَبُو العيناء – فالوذج، فَقَالَ أَبُو هفان: لهَذِهِ أحر من مَكَانك فِي جَهَنَّم. فَقَالَ أَبُو العيناء: إِن كَانَت هَذِه حارةً فبردها بشعرك**"(٣).

(١) نثر الدر في المحاضرات ١٤١/٣، التذكر الحمدونية ١٨١/٨.

(٢) حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات٢٢.

(٣) نثر الدر في المحاضرات ١٣٣/٣ ، التذكرة الحمدونية٢٣٨/٧.

قول أبي العيناء: "إن كانت هذه حارة فبردها بشعرك" هذا جواب مسكت، وهو من "الأجوبة الدامغة"[١]، ويُفهم من ظاهره رغبة أبي العيناء أن يلقي المخاطب شعراً إلى أن يبرد الطعام لكن هذا الأمر يحمل في طياته تعريض بثقل شعر (أبو هفان) الذي تجرأ على سبه.

ومنها: "**قَالَ يَوْمًا لرجل دخل من النَّصْرَانِيَّة فِي الْإِسْلَام: أتشرب الْخمر؟ قَالَ: بلَى. قَالَ: لقد أصبت عين الرَّأْي، إِذْ دخلت فِي عزة هَذِه الدعْوَة، وَثَبت على شَرَائِط تِلْكَ النحلة**"[٢].

قوله: "لقد أصبت عين الرأي" مزاح؛ لأن دخول هذا الرجل في عزة الإسلام مع ثباته على ما كان مسموح له به حال نصرانيته ليس عين الرأي كما يقول أبي العيناء، إذ ليس المقصود المعنى الأصلي لهذا الخطاب بل المقصود ما يلمح منه من دلالات خفية، فهذا القول تعريض من أبي العيناء بجهل هذا الرجل وسوء صنيعه وعدم صدق إسلامه، وفيه تحفيز لفكر المخاطب ونصح غير مباشر للالتزام بالسلوك القويم الذي يجب أن يتحلى به كل مسلم.

ومن النوادر التي جاءت من باب التعريض أيضاً: "**حدثني نصر بن سهل بن المرزبان قال وُلد لأبي العيناء ابن فأتاه أبو علي البصير مهنئاً له فقال: أي وقت فارق أمه؟ فقال: وقت الصبح عند ضرب الدبادب**[٣]**، فقال أبو علي: أرجو أن يعرفك الله بركته فما أخطأ وقته، يريد أن السؤال إنما ينتشرون في ذلك الوقت للكدية**[٤]"[٥].

---

(١) التذكرة الحمدونية ٢٣٨/٧.

(٢) نثر الدر في المحاضرات ١٣٤/٣ .

(٣) " الدبادب والجباجب: الكثير الصياح والجلبة" لسان العرب: مادة: (دبب)، ٣٦٩/١.

(٤) "والكدية كل ما جمع من طعام أو تراب أو نحوه فجُعِلَ كُثبة" لسان العرب، مادة: (كدو) ٢١٦/١٥.

(٥) رسائل الثعالبي ٧٦.

تميزت هذه النادرة بما فيها من سند يأتي قبل متنها، واكتمل بناء النادرة الغالب، مما يجعل لها مصداقية في نفوس المتلقين، والنادرة تحكي خبر ولادة ابن لأبي العيناء، وعلى إثر هذا الحدث ذهب أبو علي البصير لتهنئة الوالد، ولما أراد التندر سأل أبا العيناء عن وقت ولادته، ولما كان وقت ولادته هو الصباح الباكر، فقد دعا له أبو علي بقوله: "أرجو أن يعرفك الله بركته فما أخطأ وقته" وهذا القول يفهم من ظاهره الدعاء بالبركة للولد، إلا أنه يخفي معنى في باطنه، استطاع أبو العيناء بفطنته أن يلمحه، إذ ليس المقصود الكلام على ظاهره من قبيل الدعاء بل المقصود التعريض بأن يكون شحاذاً يخرج في الصباح سائلاً الناس.

ومنها: "**كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: لستُ أعرف طريقاً للمعروف أحزن ولا أوعر من طريقه إليك؛ لأنه ينضاف إلى حسب دنيء ولسان بذيء وجهل قد ملك عنانك، فكتب إليه أبو العيناء في أسفل رقعته:**

[الطويل]

وَأَنْتَ رَعَاْكَ اللهُ فِيْنَا فَإِنَّمَاْ مَدَحْتَ بِفَضْلٍ ضِعْفُهُ فِيْكَ يُوْجَدُ"[1].

هذه النادرة تمثل إحدى المهاترات والخلافات بين ابن مكرم وأبي العيناء حيث أرسل إليه ابن مكرم رسالة يصف فيها حسبه بالدناءة، ولسانه بالبذاءة، وعقله بجهل قد تملكه، ولم يقف أبو العيناء إزاء هذا السب صامتاً بل وقع أسفل الرقعة ببيت شعر "عدوه أبلغ من الأول"[2] أي أبلغ من كلام ابن مكرم، وهو بهذا

(١) محاضرات الأدباء ٤٦٧/١، وهذه النادرة رواها أبو علي القالي في أماليه بسند قبلها، يقول: "

"قَالَ: وأملى علينا أَبُو الحسن الأخفش، قَالَ: كتب محمد بن مكرم إِلَى أبي العيناء: أما بعد..." أمالي القالي ١٩٢/٢، وهي أيضاً في صبح الأعشى ٢١٧/٩.

(٢) محاضرات الأدباء ٤٦٧/١.

البيت من الشعر يعرض بابن مكرم ويرد إليه الإساءة مضاعفة ومن جنس ألفاظه بقوله: "إنما مدحت بفضل ضعفه فيك يوجد" مؤكداً بأسلوب القصر، وطريقه: "إنما"، وتنكير لفظ "فضل" يفهم من ظاهر معناه الأصلي أن ابن مكرم مدحه لكن في الحقيقة هو رد قاطع من أبي العيناء يجيب به ابن مكرم الذي سبه تعريضاً بما عابه به.

(٣) الألوان البديعية : ومن ألوان البديع التي شكلت سمة مميزة في نوادر أبي العيناء، وأضفت على بناء نوادره قيمة جمالية:

(أ) الاقتباس:

ومنه: "**دخل أبو العيناء بلدة والصبيان يلعبون ويترامون بالحجارة، فوقع حجر على رأسه فانكسر، وكان لم يجد صديقاً فلم يأكل تلك الليلة طعاماً، ثم بعد الصبح ذهب إلى أمير البلدة، فقال له الأمير: في أيّ يوم دخلت؟ قال: ﴿فِي يَوۡمٖ نَّحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾ [القمر: ١٩]، قال: في أيّ ساعة؟ قال: ﴿فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾[التوبة: ١١٧]، قال: وأين نزلت؟ قال:﴿بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٖ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فضحك ووصله**"[(١)].

في هذه النادرة عدة اقتباسات قرآنية بغرض الشكوى، حيث صارت لأبي العيناء أحداث جعلته تعيساً حين دخل بلدة فوقع على رأسه فانكسر كما لم يجد صديقاً يأوي إليه وبات جائعاً؛ لذا فهو يستلهم من القرآن الكريم قوله (تعالى): ﴿فِي يَوۡمٖ نَّحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾ ، وقوله (تعالى): ﴿فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ ، وقوله (تعالى): ﴿بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٖ﴾ مستمداً من كلام الله (عزوجل) الدلالة الإيحائية المعبرة عن غرضه وحالته النفسية والشعورية، وبدت النادرة بهذا التوظيف القرآني المعبر أكثر جذباً لذهن السامع وأكثر دقة في إيصال المعنى، وهي دقة في اختيار

(١) روض الأخيار ٣٢٦.

الألفاظ التي منحته إياها الآيات القرآنية "نحس" و"العسرة" و"غير ذي زرع" فكانت أدق تعبير لوصف حاله، وهو في اقتباسه كان محافظاً على التركيب القرآني للآية الكريمة دون تبديل أو تحوير لفظي للآيات غير أن التحوير جاء في الدلالات المعنوية الذي يفهم من سياق النادرة، فقد كنى بهذه الآيات جميعها عن شؤم الحال، وفي الكناية أيضاً تقوية للمعنى وتوضيحه.

ومنه: "**سَلم نجاح بن سَلمَة إِلَى مُوسَى بن عبد الْملك ليستأديه مَالا، فَتلف فِي الْمُطَالبَة؛ فلقي بعض الرؤساء أَبَا العيناء، وَقَالَ لَهُ: مَا عنْدك من خبر نجاح؟ قَالَ:** ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ **[القصص: ١٥]**"؛ **فبلغت كَلمته مُوسَى بن عبد الْملك؛ فَلَقِيَهُ فَقَالَ: أبي تولع؟ وَالله لأقومنك. فَقَالَ:** ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ **[القصص: ١٩]**" [(١)].

سئل أبو العيناء عن خبر (نجاح بن سلمة) وكان نجاح قد قتله (موسى بن عبد الملك) فأجاب مقتبساً قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ مستمداً من دلالة النظم القرآني ما يوضح مقصده ويغنيه عن شرح ما كان، إلا أن جواب أبي العيناء وصل لمسامع موسى بن عبد الملك الذي حينما لقي أبا العيناء توعده قائلاً: (أبي تولع؟) فهذا أسلوب إنشائي (استفهام) له مدلول مجازي هو الإنكار والتوبيخ والوعيد؛ لإشعاله النار والإخبار عنه ثم قال: "والله لأقومنك" مؤكداً وعيده بالقسم واللام والنون، فرد عليه أبو العيناء بالاقتباس مرة أخرى من القرآن الكريم ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ فبدت جواباً مفحماً للمخاطب ومنجياً لأبي العيناء من حنقه وغضبه.

(١) نثر الدر في المحاضرات٣/١٣٦، نكت الهميان ٢٥٤، جمع الجواهر ١٠٧، التذكرة الحمدونية ٩/٣٩٥.

ومنه: "**كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: عندنا سكباج يرعف المجنون وحديث يطرب المحزون وإخوانك الملحدون، فلا تعلوا عليّ وائتون، فكتب إليه أبو العيناء** ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ **[المؤمنون: ١٠٨]**"(١).

هذه نادرة مكتوبة وليست شفهية، وفيها يدعو ابن مكرم صديقه واصفاً له ما يدعوه إليه من طعام وشراب ومن أحاديث سمر تجمع الأصدقاء لكنه لم يحسن اختيار الألفاظ التي يمكن بها دعوة الضيف، بل جاء وصفه بألفاظ جعلت دعوته سباً واستهزاءً بأبي العيناء مثل قوله: "المجنون، الملحدون"، وفي قول ابن مكرم: "وإخوانك الملحدون" وصف لأبي العيناء بالإلحاد أيضاً، لذا أفحمه أبو العيناء باقتباس قرآني، هو قوله تعالى: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ، والمراد من الآية الكريمة: "﴿ٱخۡسَـُٔواْ﴾: امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء، ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي"(٢)، وهذا الاقتباس داعم ومؤكد لغضب أبي العيناء بسبب هذه الرسالة التي لا تليق به.

ومن الملاحظ أن الاقتباس كثيراً ما يأتي في النوادر المسكتة، وغالباً تلك التي يكون غرض أبي العيناء منها الهجاء، ومن ذلك ما جاء عنه في ذم مغن غناؤه قبيح:

"**قال الجماز لأبي العيناء: كيف ترى غنائي؟ فقال: كما قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ **[لقمان: ١٩]**"(٣).

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٧٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، ٤٩٨/٥، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

(٣) محاضرات الأدباء ١/ ٨٢١، نثر الدر في المحاضرات ١٣٥/٣، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات٦٣.

يقتبس أبو العيناء من القرآن الكريم آية يبقيها على نفس تركيبها، وهذا الاقتباس القرآني قصد به أبو العيناء ذم الصوت القبيح، وتتجلى بلاغته في إفادته التعريض بقبح غناء المخاطب، كما جواب لاذع فيه إفحام للمخاطب.

ومنه: "**قول أبى العيناء، وقيل له: ما تقول فى ابنى وهب؟ قال:** ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ **[فاطر: ١٢]، سليمان أفضل، قيل: وكيف؟ قال:** ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **[الملك: ٢٢]**"[(١)].

استطاع بهذا الاقتباس القرآني أن يعبر عن رأيه في التفرقة بين هذا وذاك، ومن خلال هذه الاقتباسات القرآني تظهر بلاغة أبي العيناء، فقوله: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ كناية عن السخاء وكثرة البذل، أما قوله: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ كناية عن البخل الشديد، ويبدو من خلال هذا الاقتباس القرآني أثر ثقافته الدينية.

وقد عد أبو هلال العسكري هذه النادرة من باب الكناية، وجعلها: "من مليح ما جاء فى هذا الباب"[(٢)]، كما عدها أسامة بن منقذ في كتابه (البديع في نقد الشعر): "من مليح التعريض"[(٣)] إذ لم يذكر الخبر من أول: "سليمان أفضل..." وعلى هذا فالتعريض مستمد من إخفاء اسميهما والاكتفاء بالإشارة (هذا) و(هذا) حذراً من الإصابة بمكروه، ولكن أبا العيناء عرفت عنه الجرأة في كثير من

(١) الصناعتين ٣٦٨.

(٢) المصدر السابق ٣٦٨.

(٣) البديع في نقد الشعر، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت ٥٨٤هـ)، بتحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، ١٠٣، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة.

نوادره؛ لذا أرى أن رواية أبي هلال العسكري أصوب، حيث أكمل أبو العيناء حديثه مفصلاً بقوله: "سليمان أفضل" وحين سئل: "وكيف؟" أجاب باقتباس من القرآن الكريم مفضلاً الإجابة بأبلغ كلام، هو قوله (تعالى): ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ، وقد ساعده على التعبير عن رأيه وتوضيحه هذا الجمع ثم التقسيم بين الطرفين والمستمد من الجمع والتقسيم في الآية الكريمة.

(ب) العكس والتبديل:

ومنه: "**حمل بعض الوزراء أبا العيناء على دابة، فلما أبطأ عليه علفها استزاده فقال: أيها الوزير، هذه الدابة حملتني عليها أم حملتها عليّ؟**"(١).

قوله: "حملتني عليها أم حملته عليَّ" قدم أبو العيناء في الكلام وأخر بغرض ذم هدية المخاطب دون التصريح بذلك، واستطاع التعبير عن مشاعره باستخدام العكس والتبديل الذي كان له أثر في تزيين المعنى.

ومنه: "**قال أبو العيناء لأبي الصقر بن بلبل وهو وزير: أنت والله تقرب منا إذا احتجنا إليك، وتبعد عنا إذا احتجت إلينا**"(٢).

يوجه أبو العيناء كلامه لأبي الصقر مادحاً، فهو يمد يديه للعفاة لا يحتجب دونهم، حكيم لا يظهر ضعفه أمام الآخرين، وعن طريق اللون البديعي (العكس والتبديل) في قوله: "تقرب منا إذا احتجنا إليك، وتبعد عنا إذا احتجت إلينا" استطاع أبو العيناء إظهار مشاعره تجاه أبي الصقر ولفت انتباهه وتحقيق نغمة وجرس موسيقي للنادرة.

(١) التذكرة الحمدونية٥/٨٥، نكت الهميان ٢٥٣، نثر الدر في المحاضرات في المحاضرات ج٣/ ١٣١.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع ٢٥٣.

(جـ) الاقتباس والتضمين والتقسيم، قد تجتمع بعض السمات الأسلوبية لنوادر أبي العيناء معاً في نادرة واحدة، وفيما يلي مثال جامع لأبرز ألوان البديع التي ميزت نادرة أبي العيناء، ألا وهي: (الاقتباس) و(التضمين) و(التقسيم)، تقول النادرة:

"**أخبرنا أبو أحمد، قال: أخبرنا الصولي، قال: حدثنا محمد بن القاسم أبو العيناء، قال: لما دخلت على المتوكل دعوت له، وكلمته فاستحسن كلامي، وقال لي: يا محمد؛ بلغني أنّ فيك شراً، قلت: يا أمير المؤمنين، إن يكن الشّرّ ذكر المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فقد زكّى الله عز وجل وذم؟ فقال في التزكية:** ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ **[ص: ٣٠]؛ وقال في الذم:** ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ ﴾ **[القلم: ١١، ١٢، ١٣]، فذمه الله تعالى حتى قذفه، وقد قال الشاعر**(١): **[الطويل]**

إذا أنَا بِالْمَعْـــــروفِ لَمْ أثْنِ دائِماً ... وَلَمْ أَشْـتمْ الحيس اللّئيم المُذمّما

فَفِيمَ عَــرَفْتَ الخَيْرِ والشَّرّ باسمِهِ ... وَشَقّ لِيَ اللهُ الْمَســـامِعَ وَالْفَما

وفى الخبر بعض طول"(٢).

تحكي هذه النادرة خبر أحد مجالس أبي العيناء مع المتوكل، وهي من طريق الصولي، وفيها أن أبا العيناء قد دعا للمتوكل وكلمه كلاماً استحسنه وأعجب به غير أن المتوكل بعد أن أبدى إعجابه ببلاغة أبي العيناء جالت في فكرة خاطرة لم يخفها عن أبي العيناء إذ تذكر أن قد بلغه سابقاً أن في أبي العيناء شراً، وربما كان الشر الذي عناه من قبيل خبث النية وسوء الطوية؛ فليس

(١) البيتان فى أمالى القالى ٢: ١٥٩، رواهما عن أبى العالية الرياحى" أمالي المرتضى ٢٩٩/١.

(٢) الصناعتين ٤٢٧، وهي أيضاً مطولة في: جمع الجواهر ١٠٧، أمالي المرتضى ٢٩٩/١، زهر الآداب ١/ ٣٢٢، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢٤٩/١.

بيد الضرير إلحاق الأذى المادي لأحد، ولما بدا الأمر كذلك انطلق أبو العيناء منافحاً عن نفسه فإن كان الشر الذي بلغه عنه هو التصريح بذكر إحسان المحسن وإساءة المسيء فهو يأتيه دون رهبة أو خداع أو قلب للحقائق، متأسياً في هذا بتعاليم ديننا الحنيف، لذا يحيل أبو العيناء ذهن المتوكل للتفكر فيما جاء في قرآننا الكريم الذي منه نستمد أحسن الخلق وأقوم السلوكيات مقتبساً لذلك من كتاب الله (تعالى) ما يوضح به معناه ويثير من خلاله ذهن المتوكل للتفكر وتبصر حقائق الأمور، فالله (تعالى) في كتابه الكريم قد أثنى وذم ثم قسّم أبو العيناء ما اقتبسه من القرآن الكريم تبعاً لمتطلبات الحوار، فقال في التزكية والثناء: ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ وقال في الذم: ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ ﴾ ، والتقسيم لون بديعي ومحسن يتزين به الكلام ويتنمق، وصعَّد أبو العيناء في الاستزادة من الجماليات وسبل تحسين الكلام بهدف إقناع المتوكل والتأثير فيه رغبة في عدوله عن رأيه وألا يبقى ظنه نحوه أن فيه شراً، فلجأ إلى محسن بديعي ثالث هو (التضمين) ينمق به كلامه ويتخذه وسيلة ثالثة للإقناع والتأثير، مضمناً بيتين رويا عن (أبي العالية الرياحي)[١]، والتضمين يظهر مقدرة أبي العيناء الفنية وبه يثري نادرته؛ لتكون أبلغ أثراً في نفس المتلقي.

والاستشهاد القرآني والتضمين من أساليب الحجاج، وقد جاءت هذه النادرة تحت عنوان: "الجوابات المسكتة ولدغات اللسان"[٢] فبالإضافة إلى كونها مسكتة فهي حجاجية؛ لما فيها من حوار من أجل إقناع المخاطب.

(١) القائل "أبو العالية الرياحي" أمالي المرتضى ١/حاشية ص٢٩٩.

(٢) محاضرات الأدباء ١/٤٦٠.

وتتضح بلاغته أيضاً في حجاجه ودفاعه عن نفسه جامعاً بين عدة ألوان بديعية تعد محسنات لفظية (كالاقتباس والتضمين) ومعنوية (كالتقسيم)، وللمقام أثره في توجيه الحجاج في هذه النادرة فأبو العيناء عمل في هذه النادرة على إقناع المتلقي، ويتضح مراعاته للمقام من خلال بيتي الشعر حيث يبدو من خلالهما معنى ظاهر ومعنى باطن، فالمعنى الظاهر من كلام أبي العيناء هو دفاعه عن نفسه، والمعنى الباطن هو حاجة المتلقي وهو خليفة إلى ناصح أمين يسمع وينقل للمتوكل صادقاً وإلا فما الفائدة من بقائه بجواره؟

جاء في الصناعتين: "وفي الخبر بعض طول" وبالبحث نجد هذه الإضافة في رواية أخرى للنادرة: "وإن كان الشر الذي بلغك عني كفعل العقرب... فقد صان عبدك عن ذلك"[1] وفيها صورة بيانية هي: التشبيه، حيث شبه الشر الصادر منه بفعل العقرب، ووجه الشبه: الإيذاء بالطبع دون تمييز بالعقل، وجملة: "فقد صان عبدك عن ذلك" أي فاطمئن.

(١) زهر الآداب ١/ ٣٢٢ بتصرف.

الخاتمة

كانت هذه رحلة ماتعة في التراث العربي والنوادر البليغة، وفيما يلي أبرز نتائج البحث:

١- استطاع أبو العيناء كمنادر حاضر البديهة استخدام نوادره في كثير من جوانب حياته فربما استخدمها للتندر أو للإفلات من مأزق ما أو للسخرية والهجاء أو للنصح.

٢- النوادر الشفهية وإن كانت عابرة إثر موقف ما إلا أن بها تقع الفوائد المتنوعة للمتلقي وربما للأجيال حسب تنوع مقاصدها وأغراضها في الموقف الذي وُلدت فيه.

٣- تنوعت موضوعات نوادر أبي العيناء لتشمل نوادر ساخرة من أهل عصره كالحمقى والمغفلين والبخلاء والمجانين، أو نوادر الظرفاء منهم، كذلك قد تكون النادرة لغوية، أو سياسية.

٤- لأبي العيناء أسلوب خاص في التعبير، ولنوادره خصائص أسلوبية مميزة من حيث الشكل والموضوع وطرائق التعبير البلاغية.

٥- تميزت نوادر أبي العيناء بجزالة اللفظ وفصاحته، وهذا هو الأنسب لمضمون النادرة؛ لأنها تشمل جميع أفراد المجتمع على اختلاف ثقافاتهم وطبقاتهم.

٦- لدى أبي العيناء القدرة على تطويع اللفظ بالطريقة التي تتناسب مع مقتضيات الأحوال، حيث عمد في نوادره أحياناً إلى النحت والتصحيف.

٧- الميزة الأسلوبية الغالبة على نوادر أبي العيناء عنصر المفاجأة وسرعة البديهة والجواب المسكت.

٨- النادرة المسكتة الحجاجية تظهر بلاغتها من شيئين هما: القدرة على إفحام المخاطب وآليات الحجاج البلاغية.

٩- بنى أبو العيناء بعض نوادره على أحد ألفاظ كلام المخاطب، وهذا يبرز العناية بألفاظ المخاطب التي من شأنها إحداث نوع من التواصل اللفظي الجيد بين المرسل والمتلقي وإحداث موسيقى داخلية في النص.

١٠-أسلوب الحكيم في نوادر أبي العيناء قد يكون رداً على الحكام إما للنصح أو للتعبير عن الشكوى والتبرم بطريقة غير مباشرة أو هروباً من مشكلة تكاد أن توقع به.

١١-من الصور البيانية: أكثر أبو العيناء من التعبير بأسلوب الكناية؛ لتكون نوادره أكثر إقناعاً للعقل وأقرب وصولاً للعاطفة حيث إن الكناية تقدم المعاني مقرونة بالأدلة.

١٢-طوت بعض نوادر أبي العيناء معان خفية حيث أكثر من استخدام أسلوب التعريض، وهذا من البلاغة بمكان.

١٣-من أبرز الألوان البديعية التي ميزت النادرة: الاقتباس والتضمين والتقسيم، وهي ألوان جمالية لها أهميتها في التأثير على المتلقي وإقناعه.

التوصيات: إن أدبنا العربي كلما فتشنا فيه عثرنا على لآلىء نفيسة وكلمات بليغة جديرة بأن يطلع عليها الناس؛ ليستفيدوا مما جاء فيها من قيم وأخلاقيات، وألفاظ فصيحة ومعان بليغة مؤثرة، والكلمة لا شك لها أثر عميق في المجتمعات والشعوب، والنوادر كلام منثور تحمل ألفاظه ومدلولاته كثيراً من حكمة العرب وبلاغتهم، والمتندرون أمثال أبي العيناء في التراث العربي كُثُر، وحتماً ستقع يدي الباحث على درر ينتقيها من بين ألفاظ ومدلولات هذه النوادر وعلى متندرين بلغاء يستحقون الإشادة وإمتاع القراء بأدبهم، فهلموا يا حماة العربية نقِّبوا في ثغورها الفكرية فعلى عاتقكم التوعية الثقافية لشباب الأمة وإثراء الدراسات البلاغية.

ثبت المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

١. أخبار الحمقى والمغفلين والمغفلين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، شرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٢. أخبار الظراف والمتماجنين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٣. الأدب الفكاهي، دكتور عبد العزيز شرف، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٢م.

٤. أدب الكتاب، أبو بكر محمد بن يحى الصولي (ت ٣٣٥هـ)، نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي، المطبعة السلفية بمصر، المكتبة العربية – ببغداد، ١٣٤١هـ.

٥. إعتاب الكتاب، المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦١م.

٦. الإعجاز والإيجاز، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، مكتبة القرآن – القاهرة.

٧. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٨. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، المؤلف: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥-٤٣٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط١، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م.
٩. الإمتاع والمؤانسة، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ.
١٠. الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.
١١. البديع في البديع، المؤلف: أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت ٢٩٦هـ)، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٢. البديع في نقد الشعر، المؤلف: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت ٥٨٤هـ)، بتحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة.
١٣. البرصان والعرجان والعميان والحولان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٤. البصائر والذخائر، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

١٥. البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

١٦. تاريخ الأدب العربي، دكتور: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠ –١٩٩٥م.

١٧. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٨. تحسين القبيح وتقبيح الحسن، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، المحقق: نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

١٩. تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (ت ١٢٢١هـ)، دار الفكر، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٢٠. التذكرة الحمدونية، المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت ٥٦٢هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٢١. التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٢٣. الجامع الصحيح «صحيح مسلم»، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري، محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي، أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤ هـ.
٢٤. جمع الجواهر في الملح والنوادر، تصنيف: أبي إسحاق الحصري إبراهيم بن علي بن تميم القيرواني (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٥. جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت.
٢٦. جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٢٧. حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، للقاضي أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي، قرأه وعلق حواشيه وقدم له أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٣٠- ٢٠٠٩م.

٢٨. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، سلسلة كتب التراث (٨٢)، ١٩٧٩م.
٢٩. ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
٣٠. ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، دار الجيل، بيروت.
٣١. الذخائر والعبقريات – معجم ثقافي جامع، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي الأديب المصري (ت ١٣٦٣هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
٣٢. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، المؤلف: جار الله الزمخشري (ت ٥٨٣ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
٣٣. الروزنامجة، المؤلف: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.
٣٤. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم (ت ٩٤٠هـ)، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٤٢٣هـ.
٣٥. زهر الآداب وثمر الألباب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت.

٣٦. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٣٧. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.
٣٨. شرح مقامات الحريري، المؤلف: أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي (ت ٦١٩ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٦ م – ١٤٢٧ هـ.
٣٩. الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب،[ينسب لـ]عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، المحقق: د إلهام عبد الوهاب المفتي– كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
٤٠. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.
٤١. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٤٣. الصداقة والصديق، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٤٤. الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
٤٥. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٦. العقد الفريد، المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ. التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٤٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط ٥، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.
٤٨. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٤٩. غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (ت ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٥٠. كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٥١. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
٥٢. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (عليها السلام) تأليف المولى محمد علي بن أحمد القراچه داغي التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ)، تحقيق دار فاطمة (عليها السلام).
٥٣. المجموع اللفيف، أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي (ت بعد ٥١٥هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
٥٤. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٥٥. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٥٦. المُراح في المزاح، تأليف الإمام العلامة الشيخ بدر الدين أبي البركات محمد الغزي، المتوفى سنة ٩٨٤هـ، راجعه وعلق عليه: الدكتور السيد الجميلي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٥٧. المستطرف في كل فن مستظرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (ت ٨٥٢هـ)، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٥٨. مصارع العشاق، المؤلف: جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي، أبو محمد (ت ٥٠٠هـ)، دار صادر، بيروت.
٥٩. المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، مادة: (ن د ر)، الناشر: دار الدعوة.
٦٠. مفتاح العلوم، المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٦١. مقال: (إحياء الأدب العربي) للأستاذ: عباس محمود العقاد، مجلة الرسالة، أصدرها: أحمد حسن الزيات باشا (ت ١٣٨٨هـ)، عدد الأعداد: ١٠٢٥ عدداً (على مدار ٢١ عاما)، العدد: ٢٧٨، تاريخ النشر بالمكتبة الشاملة: ٩ ربيع الأول ١٤٣٢هـ.
٦٢. الممتع في صنعة الشعر، المؤلف: عبد الكريم النهشلي القيرواني، المحقق: الدكتور محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

٦٣. منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»، (من شروح الحديث)، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (ت ٩٢٦ هـ)، اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٦٤. نثر الدر في المحاضرات، المؤلف: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (ت ٤٢١هـ)، المحقق: خالد عبد الغني محفوط، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٦٥. نكت الهميان في نكت العميان، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٦٦. نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٧. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩٩١
التمهيد :	٩٩٤
المدخل الأول: ترجمة أبي العيناء	٩٩٤
المدخل الثاني: كلمة عن النوادر	١٠٠٥
الفصل الأول: موضوعات نوادر أبي العيناء	١٠١٤
أولاً: نوادر ساخرة من بعض أفراد مجتمعه	١٠١٤
ثانياً: نوادر الظرفاء	١٠١٩
ثالثاً: نوادر لغوية	١٠٢٢
رابعاً: نوادر سياسية	١٠٢٨
الفصل الثاني: السمات الأسلوبية	١٠٣٢
أولاً:النادرة المسكتة	١٠٣٢
ثانياً: النادرة المسكتة الحجاجية	١٠٣٨
ثالثاً: بناء النادرة على لفظ من كلام المخاطب	١٠٤٥
رابعاً: فنون بلاغية وألوان بديعية شكلت النادرة	١٠٤٨
١-فنون المعاني	١٠٤٨
٢-الصور البيانية	١٠٥٢
٣-الألوان البديعية	١٠٦٠
الخاتمة	١٠٦٨
ثبت المصادر والمراجع	١٠٧٠
فهرس الموضوعات	١٠٨٠